

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهجية حركة حماس في العلاقات الخارجية سورية نموذجاً 2000-2015

تأليف

عبد الحكيم عزيز حنيني



مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات
بيروت - لبنان

**Hamas' Foreign Policy
Syria as a Case Study 2000–2015**

by:

Abdalhakim Aziz Hanaini

أصل هذا الكتاب هو رسالة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه الفلسفية من معهد الدراسات الماليزية والدولية في الجامعة الوطنية الماليزية في بانغي في 2016. وقد أشرف على الرسالة الدكتور عبد الرحيم بن أحمد.

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

2018م – 1439هـ

بيروت – لبنان

ISBN 978-9953-572-70-3

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مدمجة أو أي وسيلة نشر أخرى أو حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات)

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

تلفون: + 961 1 80 36 44

تلفاكس: + 961 1 80 36 43

ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net

الموقع: www.alzaytouna.net

إخراج

مروة غلاييني

تصميم الغلاف

ربيع معروف مراد

طباعة

CA s.a.r.l. Beirut, Lebanon

فهرس المحتويات

3	فهرس المحتويات
5	شكر وتقدير
7	المخلص
(9-32)	الفصل الأول: لمحة تاريخية
11	تمهيد
14	أولاً: التأسيس في الداخل والخارج
21	ثانياً: تبني خيار المقاومة والمواجهة مع الاحتلال
27	ثالثاً: تأسيس قسم العلاقات السياسية
32	خلاصة
(33-75)	الفصل الثاني: منهجية حركة حماس في العلاقات الخارجية
35	تمهيد
36	أولاً: المبادئ التي بنت عليها حركة حماس علاقاتها الخارجية
56	ثانياً: أهداف حركة حماس من علاقاتها الخارجية
59	ثالثاً: الآليات التي انتهجتها حركة حماس في تحقيق أهدافها
63	رابعاً: معوقات تطور العلاقات الخارجية
75	خلاصة
(77-143)	الفصل الثالث: العلاقات بين نظام الحكم في سورية وحركة حماس
79	تمهيد
80	أولاً: بدايات العلاقة وتطورها
94	ثانياً: أسباب اختيار حركة حماس لسورية
104	ثالثاً: أسباب استقبال سورية لقيادة حماس واحتضانها للحركة
113	رابعاً: موقف جماعة الإخوان المسلمين من هذه العلاقة

- 116..... خامساً: ما قدمه النظام السوري لحركة حماس
135..... سادساً: تهديدات وعقوبات للنظام السوري
142..... خلاصة

الفصل الرابع: الخلاف بين حماس ونظام الحكم في سورية: دلالاته

- (197-145)..... وانعكاساته
147..... تمهيد
147..... أولاً: الأزمة السورية وموقف حركة حماس منها
ثانياً: رأي النظام السوري وحلفائه في موقف حماس من الأزمة
156..... قبل خروجها من سورية
172..... ثالثاً: أسباب الخلاف مع النظام
180..... رابعاً: الخروج من سورية
193..... خامساً: تقييم خروج حركة حماس من سورية
196..... خلاصة

النتائج والتوصيات (199-210)

- 201..... تمهيد
202..... أولاً: النتائج
208..... ثانياً: التوصيات
209..... خلاصة

ملحق الوثائق (211-227)

قائمة المراجع (229-240)

فهرست (241-250)

Abstract 264

الفصل الثالث

**العلاقات بين نظام الحكم في
سورية وحركة حماس**

العلاقات بين نظام الحكم في سورية وحركة حماس

نمهيّد:

تطورت العلاقات بين حركة حماس والنظام السوري تطوراً تدريجياً، وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة، وكان للأحداث أثرها الواضح في الاختراقات التي كانت تحدث فيها، وبقيت العلاقة بين الطرفين في عقد تسعينيات القرن العشرين، في عهد الرئيس الأب حافظ الأسد، يسودها الشك والتردد من طرف النظام، ولم تصل إلى المستوى الذي وصلته في عهد الرئيس الابن بشار الأسد.

شهدت العلاقة مع حماس في عهد الرئيس بشار الأسد تطورات إيجابية سريعة، وانتقلت قيادة الحركة للإقامة في سورية، وسيبحث هذا الفصل في مباحثه كيف تطورت هذه العلاقة حتى وصلت إلى التحالف بينهما، وسيعرض الأسباب التي جعلت قيادة حركة حماس تختار سورية لتقيم فيها بعد خروجها من الأردن، وسيبحث أيضاً الأسباب التي دفعت بالنظام السوري لاستقبال واحتضان قيادة حماس، وتحمله العقوبات والتهديدات من الولايات المتحدة الأمريكية والاحتلال الإسرائيلي بسبب هذا الاحتضان.

قدمت سورية نظاماً وشعباً الدعم لحماس بكافة أشكاله، السياسية، والإعلامية، والمالية، والأمنية، والعسكرية، ومع عرض أشكال هذه المساندة، يتناول هذا الفصل أيضاً الفوائد والمصالح التي حققها النظام نتيجة هذا الدعم، ويتناول أيضاً عدة رؤى لهذه الفوائد، منها رؤية حماس، ورؤية النخب العربية، ورؤية الاحتلال الإسرائيلي.

عارضت جماعة الإخوان المسلمين إقامة العلاقة بين حماس والنظام السوري، ويتناول هذا الفصل أسباب ذلك، ويبحث أيضاً في كيفية نجاح قيادة حماس في إقناع قيادة الجماعة في ضرورة إقامة مثل هذه العلاقة مع النظام السوري، وتجاوزت حماس هذه العقبة وحاولت بعدها الدخول في مصالحة بين النظام وجماعة الإخوان السورية، إلا أن هذه الجهود لم تكلل بالنجاح.

أولاً: بدايات العلاقة وتطورها:

في 1991/1/8 أبعدت قوات الاحتلال الإسرائيلي إلى جنوب لبنان أربعة من قادة حركة حماس الميدانيين في قطاع غزة وهم: عماد العلمي، ومصطفى القانون، ومصطفى اللداوي¹، وفضل الزهار²، ليصبح ثلاثة منهم بعد ذلك ممثلين لحركة حماس في إيران وسورية ولبنان، وليتداولوا تمثيل الحركة في سورية على التوالي: مصطفى اللداوي، ثم مصطفى القانون، ثم عماد العلمي.

كان أول ممثل لحركة حماس في سورية هو مصطفى اللداوي الذي دخل سورية في منتصف سنة 1991، بتكليف من قادة الحركة، لاستكشاف الأوضاع، وليحاول أن يفتح علاقات جديدة مع الفصائل الفلسطينية هناك، ومع النظام السوري³. دخل اللداوي سورية كأبي مواطن فلسطيني وليس كتمثل لحركة حماس، يقول اللداوي: ”بعدما دخلت دمشق وأقمت هناك بدأت في ترتيب علاقات مع الفصائل الفلسطينية، فبدأت علاقتي مع طلال ناجي أحد قيادات الجبهة الشعبية – القيادة العامة، ومع عصام القاضي مسؤول منظمة الصاعقة، وهما معروفان بعلاقتهم القوية والمتينة مع الأمن السوري“⁴.

حفلت سنة 1991 بالأحداث والنقاشات العاصفة فلسطينياً وعربياً وإقليمياً حول المشاركة في ”مؤتمر مدريد للسلام Madrid Conference“، والذي دعا إليه الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب George H.W. Bush (1989-1993) لتسوية الصراع العربي – الإسرائيلي، وقيام وزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر بست جولات مكوكية في الشرق الأوسط؛ أثمرت عن إقناع جميع الأطراف بقبول المشاركة في مؤتمر مدريد، بعد أن قدم لهم عدداً من التطمينات والضمانات الأمريكية، وكانت الدعوة مبنية أساساً على تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي 242. وقد انعقد المؤتمر في

¹ ولد مصطفى اللداوي سنة 1964 في مخيم جباليا شمال قطاع غزة، ترعرع هناك ودرس في مدارس المخيم، أكمل تعليمه الجامعي في جامعة بيرزيت في الضفة الغربية، اعتقله جيش الاحتلال عدة مرات ثم أبعده إلى جنوب لبنان سنة 1991. شغل منصب ممثل حركة حماس في سورية ثم في لبنان، وشغل منصب المدير العام الأسبق لمؤسسة القدس الدولية في لبنان. يعمل الآن باحث متفرغ في القضية الفلسطينية.

² مقابلة شخصية مع عماد العلمي، 2014/6/11.

³ مقابلة شخصية مع مصطفى اللداوي، بيروت، 2015/4/5.

⁴ المصدر نفسه.

1991/10/30 برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي حينها، وبحضور أوروبي شكلي، وشاركت فيه أكثر الدول العربية: مصر، والأردن، وسورية، ولبنان، والمغرب، وتونس، والجزائر، ودول مجلس التعاون الخليجي الست، وتمّ استبعاد المشاركة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشارك ممثلون فلسطينيون عن الضفة الغربية وقطاع غزة، بمباركة منظمة التحرير وتحت الغطاء الأردني؛ ضمن وفد أردني فلسطيني مشترك⁵.

كان رئيس مجلس الشورى الإيراني الشيخ مهدي كروبي Mehdi Karroubi قد دعا لعقد المؤتمر الثاني لدعم الانتفاضة الفلسطينية في طهران، حيث تمّ عقد هذا المؤتمر قبل ثمانية أيام من انعقاد مؤتمر مدريد، فانعقد في 1991/10/22 واستمر ثلاثة أيام، وحضر هذا المؤتمر كل الفصائل الفلسطينية بما فيها حركة فتح⁶، واستحوذ النقاش حول المشاركة في مؤتمر مدريد على معظم الحوارات والنقاشات بين الفصائل الفلسطينية، وعلى هامش هذا المؤتمر، وعلى قاعدة معارضة "مؤتمر مدريد للسلام"، تمّ عقد لقاء بين عشرة فصائل فلسطينية والتي سميت فيما بعد "الفصائل الفلسطينية العشرة"، وهي:

1. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
2. حركة الجهاد الإسلامي.
3. حركة المقاومة الإسلامية (حماس).
4. الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة.
5. منظمة الصاعقة.
6. الحزب الشيوعي الفلسطيني الثوري.
7. الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين.
8. حركة فتح الانتفاضة.
9. جبهة التحرير العربي.
10. جبهة النضال الشعبي (جناح خالد عبد المجيد).

⁵ محسن محمد صالح، فلسطين: دراسات منهجية في القضية الفلسطينية (بيروت: مركز الإعلام العربي، 2002)، ص 470.

⁶ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 86.

وهذا اللقاء كان أول لقاء بين هذه الفصائل مجتمعة، وعندما انتهى المؤتمر صدر بيان مشترك رفض فيه الجميع المشاركة في مؤتمر مدريد، وتمّ الاتفاق على تشكيل إطار سياسي للفصائل العشرة، وعلى أن يكون اللقاء القادم لهذه الفصائل في دمشق؛ من أجل تفعيل دورها في معارضة مؤتمر مدريد⁷.

وأكد مصطفى القانون⁸ أن جميع الفصائل اتفقت على أن تكون دمشق هي مركز اللقاءات والحوارات؛ حينها برزت الحاجة الماسة لتواجد ممثل لحركة حماس في سورية، لأنها هي الوحيدة بين الفصائل الفلسطينية العشرة التي لا يوجد لها ممثل رسمي هناك، من أجل أن يمثلها في اللقاءات، وهنا أبدى مندوب حزب البعث السوري، ومسؤول منظمة الصاعقة استعدادهما أن يبذلا الجهود لتمهيد الأمر لحركة حماس لتعيين ممثل رسمي لها في دمشق⁹.

كان للجبهة الشعبية - القيادة العامة الدور الأكبر في تأسيس العلاقة بين سورية وحماس من خلال أمينها العام أحمد جبريل، والذي صرح بذلك بقوله:

أنا بذلت من الجهود الكثير لاستقبال حماس والجهاد في دمشق؛ فقد قابلت عبد الحليم خدام وطلبت إننا منه لإقامة ممثل لحماس في دمشق، إلا أن عبد الحليم خدام رفض وقال: هؤلاء إخوانٌ مسلمون الذين قتلوا رفاقنا. وبعد أيام قابلت الرئيس حافظ الأسد وقلت له: أنتم في سوريا، والمقاومة في فلسطين، وحزب الله، سيربح الجميع من استقبال حماس واحتضانها في سوريا، وافق وقال لي: على مسئوليتك ومن خلالك، ولذلك كل شيء أُعطي لحماس فيما بعد من النظام كان باسم الجبهة الشعبية القيادة العامة¹⁰.

وأكد على هذا الأمر كل أعضاء قيادة حماس الذين التقى معهم الباحث.

⁷ مقابلة شخصية مع عماد العلمي، 2014/6/11.

⁸ ولد مصطفى القانون سنة 1945 في بلدة جباليا الواقعة شمال قطاع غزة، ترعرع فيها وأنهى دراسته الثانوية هناك، ثم التحق بكلية الآداب في جامعة القاهرة وحصل منها على بكالوريوس وماجستير في اللغة العربية، عاد إلى قطاع غزة واشتغل في التدريس، اعتقله جيش الاحتلال سنة 1988 في الانتفاضة الأولى بسبب نشاطاته في حركة حماس، وفي سنة 1991 تمّ إبعاده من غزة إلى جنوب لبنان، وشغل على التوالي منصب ممثل حماس في كل من لبنان وسورية وإيران، وفي سنة 2007 عاد ليستقر في قطاع غزة.

⁹ مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، غزة، 2015/1/14.

¹⁰ مقابلة مع أحمد جبريل، برنامج في الميدان، قناة الميادين، 2013/9/9، يوتيوب، انظر:

<https://www.youtube.com/watch?v=gqQWvWNAXGA>

استمرت لقاءات الفصائل العشرة في دمشق، وأصبحت واقعاً على الأرض، وكان يمثل الحركة في هذه الاتصالات واللقاءات مصطفى الداوي، وتمّ التنسيق لأول زيارة رسمية لوفد من قيادة حركة حماس برئاسة رئيس مكتبها السياسي آنذاك موسى أبو مرزوق، ومعه أعضاء من المكتب السياسي هم: سامي خاطر، وعزت الرشق، ومحمد نزال، وكان ذلك في كانون الثاني/يناير من سنة 1992، وفي هذه الزيارة التقى وفد حماس مع عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث السوري، وهو أول لقاء رسمي لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس في سورية، وتناول الطرفان آخر مستجدات الانتفاضة في فلسطين، والرؤية السياسية لحركة حماس، وقد عبّر عبد الله الأحمر في هذا اللقاء عن إعجابه بآراء قيادة حماس السياسية¹¹.

يرى الباحث أن الزيارة ساعدت في إحداث اختراق مهم في جدار التردد والتوجس السوري من العلاقة مع حماس؛ بسبب جذورها الإخوانية، وفي الوقت نفسه كانت اختراقاً لجدار الخوف الذي كان يحيط بحركة حماس من أن يتعامل معها النظام السوري على أنها جزء لا يتجزأ من الإخوان المسلمين الذين يُكَنّ لهم النظام السوري عداءً تاريخياً. ولذلك بعد هذه الزيارة بأسابيع قليلة تمّ ترتيب زيارة أخرى لرئيس المكتب السياسي ومعه عضو المكتب محمد نزال، والتقى عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري، وفي هذا اللقاء تمّ تسمية مصطفى الداوي ممثلاً رسمياً لحركة حماس في دمشق، وتمّ الاتفاق على بعض الأسس والقواعد لعمل حركة حماس في سورية¹². وبعد هذه الزيارة بدأت العلاقة بين ممثّل حماس وجهاز الأمن السوري تتقدم شيئاً فشيئاً، فبدأت اللقاءات مع الأقسام الأمنية التي كانت مسؤولة عن الفلسطينيين في سورية وتتابع وتشرف على جميع الفصائل الفلسطينية¹³.

أصبح ممثّل حماس مصطفى الداوي العنوان الرسمي لكل شيء يتعلق بالحركة هناك، فكان يشارك في كل الاتصالات والنشاطات المتعلقة بالفصائل الفلسطينية، وبعد فترة من اللقاءات مع مسؤولي الأمن السوريين، تقدم ممثّل الحركة بطلب فتح مكتب رسمي للحركة، إلا أن الأجهزة الأمنية لم تسمح بذلك، وسمحت بممارسة العمل من

¹¹ مقابلة شخصية مع مصطفى الداوي، 2015/4/5.

¹² مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹³ مقابلة شخصية مع مصطفى الداوي، 2015/4/5.

خلال منزله الخاص، وبالفعل تمّ افتتاح مكتب حماس في بيت اللداوي بعيداً عن أيّ مظهر رسمي أو إعلامي، وبدأ اللداوي يمارس كافة أعماله من مكتبه في بيته¹⁴. ويرى الباحث أن موقف الأجهزة الأمنية يدلل على أن العلاقة مع حركة حماس ما زالت لم تتجاوز مرحلة الشك والتخوف منها.

1. تطورات جديدة في العلاقات السياسية الدولية لحركة حماس:

في أواسط كانون الأول/ ديسمبر سنة 1992 قررت حكومة الاحتلال الإسرائيلي إبعاد أكثر من أربعمئة فلسطيني من قيادات وكوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي إلى جنوب لبنان إثر عملية أسر لأحد جنود الاحتلال، وقرر المبعدون البقاء على الحدود اللبنانية وأن لا يغادروها حتى يجبروا حكومة الاحتلال على إعادتهم إلى بيوتهم في فلسطين، وأقاموا مخيماً على الحدود في منطقة مرج الزهور. وكما ذكر سابقاً، تركت هذه الحادثة أثراً على تطور العلاقات السياسية الدولية لحركة حماس؛ كما أثرت أيضاً في تطوير علاقات الحركة مع سورية بشكل إيجابي.

ففي تلك الفترة كانت السيطرة في لبنان للجيش السوري وأجهزته الأمنية، وكانت لهم اليد العليا فيها؛ لذلك وبعد صدور القرار الرسمي السوري بمساندة ومساعدة وتقديم كافة المعونات الممكنة للمبعدين، وما يتطلبه ذلك من الانفتاح الأوسع، والتنسيق المتواصل من أجل ترتيب هذه المساعدات والزيارات من الفصائل الفلسطينية، والقوى والأحزاب السياسية اللبنانية؛ اتصل وزير الإعلام السوري محمد سلمان بممثل حركة حماس في سورية وأبلغه قرار الرئيس السوري الذي يأمر بتقديم كافة التسهيلات والمعونات اللازمة للمبعدين، وأمره بإرسال صحفيين اثنين من صحيفة تشرين السورية الرسمية لتغطية ومتابعة أخبارهم أولاً بأول¹⁵.

بعد وصول القرار بتفصيلاته إلى المبعدين في مرج الزهور، بعث المبعدون رسالة شكر للرئيس حافظ الأسد، وأشادوا بموقفه في مساندتهم، وقد تولى اللداوي إيصالها للوزير محمد سلمان، وتلقت هذه الرسالة كل وسائل الإعلام السورية واللبنانية، وأعدت قراءتها ونشرها على مدار يومين متتاليين¹⁶، وعلى إثر ذلك تمّ ترتيب زيارة

¹⁴ المصدر نفسه.

¹⁵ مقابلة شخصية مع مصطفى اللداوي، 2015/4/5.

¹⁶ المصدر نفسه.

سرية لوفد من قادة حركة حماس من المبعدين، إلى دمشق، وكان يترأسه الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، المتحدث الإعلامي باسم المبعدين وقتها، وكان يرافقه مجموعة من قيادات الحركة مثل: محمود الزهار، وجمال منصور، وغيرهما، والتقى الوفد مع وزير الإعلام محمد سلمان كممثل للرئيس الأسد ومعه مجموعة من المسؤولين السوريين، وشارك في اللقاء مصطفى القانوع ممثل حركة حماس في لبنان، حيث قال عن ذلك اللقاء إن الوزير محمد سلمان رحّب بالمبعدين باسم الرئيس الأسد، وأبلغهم أنه مكلف شخصياً من الرئيس لمتابعة قضيتهم ومساندتهم من أجل العودة إلى ديارهم، وطلب المبعدون من الوزير فتح مكتب رسمي للحركة، وفتح المجال لحماس أن تعمل في سورية كباقي الفصائل الفلسطينية¹⁷. ويرى الباحث أن المحافظة على سرية هذا اللقاء، وعدم تناوله في وسائل الإعلام، بالرغم من مصلحة الطرفين الإعلان عنه، كان مردها إلى الخوف من الضرر الأمني الذي سيلحق بالمبعدين المشاركين في الوفد بعد عودتهم إلى فلسطين، مما قد يعرضهم للاعتقال والمساءلة القانونية في محاكم جيش الاحتلال الإسرائيلي.

حدث اختراق آخر في جدار الشك والخوف في العلاقة بين الطرفين، نتيجة اللقاءات المتعددة والاتصالات وتنسيق المواقف من قضية المبعدين، وبعد مرور عام تمكن المبعدون من العودة إلى ديارهم، وبقي 17 منهم في لبنان؛ لأن أحكاماً عالية كانت تنتظرهم في محاكم جيش الاحتلال. شجع التطور الإيجابي الذي حدث في العلاقة بين حركة حماس والنظام في سورية، على طلب قيادة الحركة رسمياً من النظام السوري السماح لهؤلاء المبعدين بالانتقال للعيش في سورية، وكان ذلك عبر ممثلي الحركة في سورية ولبنان، والتقى مصطفى الداوي الوزير محمد سلمان ورفع إليه ذلك الطلب، وأعطاه قائمة بأسماء 17 مبعداً، وبعد أيام قليلة اتصل الوزير بالداوي وأبلغه أن الرئيس الأسد وافق على استضافتهم وتوفير كل متطلباتهم ليعيشوا حياة كريمة في سورية¹⁸.

تمّ التنسيق مع العميد غازي كنعان رئيس شعبة المخابرات السورية في لبنان، ورجل سورية الأول فيها، عبر ممثل حركة حماس في لبنان مصطفى القانوع لترتيب سفر المبعدين من لبنان إلى سورية، وتمّ تحديد يوم 1994/1/4 لسفرهم عبر الخط

¹⁷ مقابلة شخصية مع مصطفى القانوع، 2015/1/14.

¹⁸ مقابلة شخصية مع مصطفى الداوي، 2015/4/5.

العسكري¹⁹ بين سورية ولبنان، وبالفعل في اليوم نفسه دخل المبعدون إلى سورية دون أي وثائق رسمية؛ لأنهم لا يملكونها، ودون سؤال أو تفتيش²⁰.

في وسط هذه الاتصالات والتنسيقات ومع بداية سنة 1994 اتخذت قيادة حركة حماس قراراً يقضي بنقل ممثل الحركة في سورية مصطفى اللداوي إلى لبنان ليمثل الحركة هناك، وأن يحل محله في دمشق مصطفى القانون ممثلها في لبنان²¹. وأكمل القانون ما بدأه اللداوي من اتصالات وأعمال في دمشق، ومع وصول المبعدين إلى دمشق أبلغ الوزير محمد سلمان، ممثل حماس القانون أن هناك قراراً من الرئيس الأسد يقضي بمعاملتهم كضيوف على الرئيس الأسد، وإعطائهم بيوتاً سكنية، ورواتب شهرية، وبطاقات خاصة لتسهيل كل أمورهم الحياتية، وجوازات سفر سورية، والسماح لمن أراد منهم، أن يكمل تعليمه في الجامعات السورية²².

احتضن النظام المبعدين، وكان لهذا الاحتضان الأثر المباشر في انفتاحهم على اللاجئين من أبناء الشعب الفلسطيني في مخيمات اللجوء في سورية، فأصبح تواجد هذا العدد من قيادات وكوادر حركة حماس تواجداً طبيعياً، وأصبح الاحتكاك اليومي مع أجهزة النظام يزيد في تطوير العلاقة بين الحركة والنظام، فكان لهم دورهم في تعزيز العلاقة وتقويتها²³، وبدأت حركة حماس تقيم بعض النشاطات والفعاليات في المخيمات الفلسطينية تحت لافتتهم؛ مستخدمة تواجدهم في توسيع دائرة علاقاتها، وترسيخ قواعد وجودها في المخيمات، وكان نظام الحكم يسمح بإقامة مثل هذه النشاطات بشرطين، أولهما: طلب الإذن لإقامة النشاط، وثانيهما: أن تكون كل أعمال ونشاطات الحركة تحت مظلة الجبهة الشعبية - القيادة العامة²⁴.

أدرك القانون أن هناك فرقاً واضحاً بين التعامل مع السياسيين من رجال الحكم في سورية، والتعامل مع قيادات الأجهزة الأمنية؛ لأن رجال الأمن ما يزالون يتخوفون من

¹⁹ الخط العسكري: هي نقطة حدود لبنانية سورية، وهو ممر ومعبر لا تشمله أي قيود أو سجلات تحدد الداخل والخارج بين البلدين.

²⁰ مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، 2015/1/14.

²¹ مقابلة شخصية مع مصطفى اللداوي، 2015/4/5.

²² مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، 2015/1/14.

²³ مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

²⁴ مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، 2015/1/14.

الحركة بسبب جذورها الإخوانية، يقول: ”بذلت جهوداً من أجل إقناع رجالات الأمن بأن أولويتنا كحركة تحرر وطني؛ هو طرد المحتل من أرضنا، مع أن جذورنا الإخوانية لا ننفيتها. وكان لقادة الجبهة الشعبية – القيادة العامة، والمنظمة الصاعقة دور مهم في تخفيف تخوفات رجال الأمن“²⁵.

طلب الأردن رسمياً من حركة حماس مغادرة موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي للحركة، وعماد العلمي عضو المكتب السياسي في الأراضي الأردنية، وإنهاء إقامتهما فيها، وفي نهاية أيار/ مايو 1995 غادرا إلى دمشق²⁶، فأعطى وجودهما دفعة جديدة في التنسيق والتواصل مع الفصائل الفلسطينية المتحالفة ضد اتفاقية أوسلو، إلا أن النظام في سورية لم يتعامل رسمياً مع موسى أبو مرزوق كرئيس لحركة حماس، ولم يبادر إلى الاتصال معه للترحيب بإقامته بشكل رسمي، ورئيس الحركة كما هو معروف بحاجة إلى إقامة معلنة ورسمية كمسؤول وليس كأبي شخص عادي؛ وذلك لحاجته إلى مكتب رسمي من أجل القيام باتصالاته ونشاطاته السياسية، وكان تقدير قيادة الحركة أن لا تطلب من النظام في سورية ذلك ما لم يبادر النظام؛ وذلك لأنها لا ترى مناسباً أن تطلب شيئاً بهذا الحجم والأهمية ثم يتم رفضه، في وقت يشهد تطوراً إيجابياً في العلاقة بين النظام والحركة، وربما ذلكم الرفض لو حصل سيؤدي إلى انتكاسة في تطور العلاقة²⁷.

يُلاحظ أن عدم مبادرة النظام في التواصل مع موسى أبو مرزوق كرئيس للمكتب السياسي لحركة حماس، هو دلالة واضحة أن الوقت لم يحن بعد لهذا المستوى العالي من العلاقة، وأن النظام لا يرغب في ذلك على الأقل في تلك الفترة؛ وعلى إثر موقف النظام قرر أبو مرزوق الخروج من سورية، وغادر إلى الولايات المتحدة لكونه يحمل الجنسية الأمريكية، وعلى إثر ذلك تم اعتقاله هناك، بتهمة الانتماء لحماس والعمل لها، ثم أفرج عنه بعد أن أمضى عاماً ونصف في السجون الأمريكية، ولم يذكر أي من قادة حماس الذين التقاهم الباحث شيئاً عن ردة فعل النظام السوري تجاه خروج أبو مرزوق من دمشق، وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث.

²⁵ المصدر نفسه.

²⁶ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 222.

²⁷ مقابلة شخصية مع عماد العلمي، 2014/6/11.

2. زيارة الشيخ أحمد ياسين وأثرها:

”أفرج الاحتلال عن الشيخ أحمد ياسين يوم 1997/10/1 بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل، مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعتقلا في الأردن عقب محاولة الاغتيال الفاشلة في عمّان، التي تعرض لها رئيس المكتب السياسي خالد مشعل“²⁸، وبعد استقبال الشيخ أحمد ياسين في الأردن وتلقيه العلاج الطبي؛ نظمت حركة حماس للشيخ جولة في عدة دول، حيث زار هذه الدول وقابل المسؤولين فيها، وكانت سورية واحدة من أهم تلك المحطات.

جاءت زيارة الشيخ أحمد ياسين إلى سورية في نهاية أيار/ مايو 1998، وتمّ استقباله استقبالا رسمياً في مطار دمشق، وكان في استقباله القيادة العليا لحزب البعث، وقيادات الأجهزة الأمنية، وتمت استضافته في الصالة الرسمية الخاصة في المطار، والتي يُستقبل فيها رؤساء الدول والوفود الخاصة، وكان برفقة الشيخ ياسين وفد من قيادة الحركة على رأسهم رئيس المكتب السياسي خالد مشعل، وأعضاء المكتب: موسى أبو مرزوق، وسامي خاطر، ومحمد نزال، وعماد العلمي، وإبراهيم غوشة²⁹. التقى الشيخ ياسين والوفد المرافق له في بداية الزيارة نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام، وبعدها التقوا مع فاروق الشرع وزير الخارجية حينها، ووليد المعلم³⁰، ثم تُوّجت الزيارة بقاء رسمي ”جمع الرئيس حافظ الأسد، ونائبه عبد الحليم خدام، ووزير الخارجية فاروق الشرع مع الشيخ ياسين ووفد قيادة حركة حماس في قصر الشعب“³¹، وقد تمّ تغطية هذا اللقاء تغطية إعلامية واسعة وبالذات من وسائل الإعلام السورية.

استطاع الباحث أن يلخص ما تحدث به الشيخ ياسين ووفد حركة حماس المرافق، مع الرئيس الأسد وأعضاء القيادة السورية، وذلك من خلال المقابلة التي عقدها مع المشاركين في هذا اللقاء، حيث ركزت قيادة حركة حماس على الأمور التالية:

²⁸ أحمد منصور، مصدر سابق، ص 27.

²⁹ مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، 2015/1/14.

³⁰ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

³¹ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 262.

- أ. القضية الفلسطينية وآخر تطوراتها، وأثر التسوية السلمية واتفاقية أوسلو عليها، ومعاناة حركات المقاومة في داخل فلسطين من ممارسات السلطة الفلسطينية وملاحقتها الأمنية لها.
- ب. دور الأمة العربية والإسلامية سابقاً ولاحقاً في مساندة القضية الفلسطينية.
- ج. ضرورة تقوية العلاقة بين سورية وقوى المقاومة وعلى رأسها حماس؛ لأن المقاومة بحاجة إلى سورية ومساندتها ودعمها.
- د. ضرورة المصالحة بين القوميين والإسلاميين³²؛ لأن الصراع بين الفريقين زاد في تفتيت الأمة العربية، وخسر منه الطرفان، واستفاد منه فقط أعداء الأمة العربية.
- وفيما يتعلق بالآراء والأفكار الرئيسية التي تحدث بها المسؤولون السوريون في هذا اللقاء، فكانت تتمحور حول ما يلي:

- أ. حركة حماس هي العمود الفقري للفصائل العشرة الفلسطينية؛ وذلك لأن دورها في المقاومة كبير، وعمقها الجماهيري في داخل فلسطين واسع، فهي التي تقود وتوجه هذه الفصائل.
- ب. أشادوا بنجاح حركة حماس بالجمع بين الإسلام والعروبة، وبين الدين وحبّ العرب والقومية العربية، والمزاوجة بين الفكر القومي والفكر الإسلامي.
- ج. أبلغ الرئيس حافظ الأسد وفد الحركة أنه أعطى أوامره للقيادة السورية من أجل استيعاب حركة حماس، وأن تفتح لها كل المجالات، والترحيب بها كحركة مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ومعاملتها كبقية الفصائل الفلسطينية الأخرى، ما دامت لا تتدخل في شؤون سورية الداخلية.
- وبعد لقاء المسؤولين السوريين، التقى الشيخ ياسين والوفد المرافق مع مسؤولي الفصائل الفلسطينية المقيمين في دمشق، ونظمت حركة حماس لقاءً جماهيرياً للشيخ أحمد ياسين في مخيم اليرموك، وكان لقاءً ضخماً شارك فيه الآلاف، وهي أول مرة يجتمع مثل هذه الجماهير للقاء أحد قيادات الشعب الفلسطيني³³.

³² بما فيها المصالحة بين النظام السوري وجماعة الإخوان المسلمين السورية كما سيأتي تفصيله في موضعه في هذا الفصل.

³³ مقابلة شخصية مع مصطفى القانوع، 2015/1/14.

أكد رياض حجاب³⁴ أن لهذه الزيارة التاريخية للشيخ أحمد ياسين وقيادة حركة حماس، وما تبعها من خطوات عملية اتخذها النظام في سورية؛ أثراً بالغاً في تطور العلاقة بين الطرفين تطوراً إيجابياً ملحوظاً³⁵، وقد أجمع كل من قابلهم الباحث من قيادة حركة حماس على أن هذه الزيارة كانت محطة مهمة، وأحدثت نقلة نوعية في العلاقة مع النظام في سورية؛ فاللقاء مع المستوى الأعلى والأول من المسؤولين فتح آفاقاً واسعة للعمل في سورية، وأدى إلى قبول واسع للحركة ونشاطاتها عند المستويات الأخرى في قيادة النظام السوري، وبالذات في الأجهزة الأمنية؛ حيث أسهمت في انفتاح العلاقة مع القيادات الأمنية بعيداً عن مظلة الجبهة الشعبية - القيادة العامة، وكانت هذه الزيارة خاتمة مرحلة سابقة تميزت بمحدودية العلاقة، والتخوف والشك بين الطرفين.

وبعد انتهاء جولة الشيخ ياسين، عملت حركة حماس تنقلات بين ممثليها في بعض الدول العربية، فتم نقل ممثل الحركة في سورية مصطفى القانونوع إلى إيران وحلّ محله عماد العلمي ليكون ممثلاً للحركة في سورية³⁶، وذلك بعد النقلة النوعية في العلاقات بين الطرفين والانفتاح فيها. وأكد طلال ناجي³⁷ أن نتيجة للضوء الأخضر الذي أعطاه الرئيس الأسد لعمل حركة حماس، فُتحت المخيمات الفلسطينية أمام الحركة، وبدأت في نشاطاتها الاجتماعية والخدماتية داخل هذه المخيمات³⁸. ويرى الباحث أن حركة

³⁴ ولد رياض حجاب سنة 1966 في مدينة دير الزور شرق سورية، ترعرع فيها وتلقى تعليمه هناك، ثم أكمل تعليمه في جامعة دمشق وحصل على الدكتوراه في الهندسة الزراعية، تدرج في مناصب قيادية في حزب البعث حتى وصل إلى أمينه العام في دير الزور، ثم محافظاً لمدينة القنيطرة وبعدها اللاذقية، تم تعيينه وزيراً للزراعة سنة 2011 وبعدها تم تكليفه برئاسة الحكومة في حزيران/ يونيو 2011، انشق عن النظام السوري وخرج سراً من سورية إلى الأردن في آب/ أغسطس 2012، وانضم للمعارضة السورية.

³⁵ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، الدوحة، 2016/7/9.

³⁶ المصدر نفسه.

³⁷ ولد طلال ناجي سنة 1946 في مدينة الناصرة شمال فلسطين. نزح مع عائلته إلى سورية بعد احتلال فلسطين سنة 1948، درس في دمشق وحصل على بكالوريوس في الجغرافيا من جامعة دمشق سنة 1971، ثم أكمل تعليمه في الاتحاد السوفييتي سابقاً وحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من معهد الدراسات الشرقية لأكاديمية العلوم في موسكو، كان من الهيئة التأسيسية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة، ثم أصبح سنة 1973 الأمين العام المساعد للجبهة، وشغل منصب عضو في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

³⁸ مقابلة شخصية مع طلال ناجي، بيروت، 2016/5/6.

حماس رفعت مستوى تمثيلها الرسمي في سورية عبر هذا التغيير، لأن عماد العلمي هو عضو في المكتب السياسي للحركة، وهذا دليل على رغبة الحركة في تطوير علاقاتها مع النظام بشكل متسارع.

وفي يوم 1999/11/21 تمّ إبعاد رئيس المكتب السياسي لحركة حماس آنذاك خالد مشعل وثلاثة من أعضاء المكتب من الأردن إلى قطر، بعد إغلاق مكاتب الحركة واعتقال قادتها، وعلى إثر هذا الإبعاد رحبت سورية بوجود قيادة الحركة على أراضيها³⁹، وأكثر قادة الحركة من التردد على دمشق وعقد اللقاءات والقيام بالأعمال والمتابعات السياسية، ثم انتقل رئيس المكتب السياسي خالد مشعل وأعضاء المكتب للإقامة الرسمية في دمشق، وتمّ فتح مكاتب لهم ولأعمالهم، وانفتحت العلاقة مع النظام السوري انفتاحاً واسعاً⁴⁰، واستمرت حتى قرار الحركة مغادرة سورية أوائل سنة 2012 على إثر الأحداث الداخلية هناك.

3. تحالف النظام السوري مع إيران وأثره في تطور علاقة حماس مع سورية:

بدأت العلاقات السورية الإيرانية منذ انتصار الثورة الإيرانية وسقوط حكم محمد رضا شاه بهلوي Mohammad Reza Shah Pahlavi سنة 1979، حيث رأى النظام في سورية سقوط الشاه سقوطاً لنظام إمبريالي استكباري كان يناصر ويحالف الاحتلال الإسرائيلي، وقد أعلن حكام طهران الجدد وقوفهم مع الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه، ودعمهم مقاومته للتخلص من الاحتلال، وقد توصلت العلاقة بين النظامين بعد وقوف النظام السوري مع إيران في حربها ضدّ العراق⁴¹. وقد التقت مصالح النظامين فيما يتعلق بموقفهما من القضية الفلسطينية وحركات المقاومة فيها، وعلى رأسها حركتي حماس والجihad الإسلامي في عدة أهداف:

أ. الوقوف ضدّ المشروع الأمريكي في المنطقة ومناهضة سياسته في الهيمنة وفرض النفوذ والإملاءات على المنطقة وأنظمتها؛ ومن أهم أدوات تلك المقاومة استخدام ورقة

³⁹ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

⁴⁰ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

⁴¹ عبد الحليم خدام، التحالف السوري الإيراني والمنطقة (مصر: دار الشروق، 2010)، ص 14.

القضية الفلسطينية وحركات المقاومة فيها، وكذلك في لبنان متمثلاً في حزب الله وحلفائه لإفشال السياسة الأمريكية في المنطقة⁴².

ب. كسب دور إقليمي وازن ومؤثر في الجغرافية السياسية للمنطقة لا يمر غالباً إلا عبر وجود تأثير قوي ومباشر في القضية الفلسطينية؛ فكان إقامة العلاقات والوصول إلى مستوى التحالف مع حركات المقاومة في فلسطين من أكبر وسائل الحصول على ذلك الدور الإقليمي⁴³.

ج. اللون المذهبي الذي اصطبغ به النظام في إيران والخلفية الطائفية للنظام السوري؛ والذي يُفسر به عند كثير من الإسلاميين وغيرهم سرُّ العلاقة والتحالف بينهما، ويحول بينهما وبين قبول سياساتهما في المنطقة وخصوصاً النظام الإيراني؛ لا يمكن التخفيف منه إلا بمثل إقامة تلك العلاقات المتميزة مع حركات مقاومة سنية وازنة على الأرض مثل حماس والجهاد الإسلامي⁴⁴.

د. في الحرب العراقية الإيرانية (1980-1988)، كانت منظمة التحرير الفلسطينية في المحور العراقي، بينما اصطف النظام السوري في المحور الإيراني، مما أوجد خصومة وتباعداً بين النظام الإيراني ومنظمة التحرير، وعمّق من هوة الخلاف الموجودة سابقاً بين المنظمة والنظام السوري، ثم جاءت مسيرة التسوية السلمية وتوقيع اتفاقية أوسلو سنة 1993، لتزيد من الهوة بينها وبين النظامين؛ وتدفع بهما إلى تعميق علاقاتهما بالحركات الفلسطينية المناهضة لتلك الاتفاقية وعلى رأسها حماس، وأوجد للنظامين تأثيراً ونفوذاً ظاهراً في الساحة الفلسطينية⁴⁵.

هـ. لم يكن لإيران في الأنظمة العربية ما هو أنسب وأفضل من النظام السوري لإيجاد اختراق وموطئ قدم في القضية الفلسطينية خصوصاً، وقضايا الإقليم عموماً؛ تستطيع

⁴² المصدر نفسه، ص 54.

⁴³ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، "مستقبل العلاقة بين حماس وإيران"، سلسلة تقدير استراتيجي (65)، آذار/ مارس 2014.

⁴⁴ المصدر نفسه.

⁴⁵ أحمد خالدي وحسين آغا، سوريا وإيران تنافس وتوازن، ترجمة عدنان حسن (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1997)، ص 152-160.

إيران من خلاله إحداث الاختراق المطلوب في القضايا العربية، ومدّ نفوذها ومواجهة أعدائها وخصومها في المنطقة سواء الولايات المتحدة و"إسرائيل"، أم من الدول العربية كالعراق سابقاً والسعودية وحلفائها لاحقاً، ولم يجد النظام أفضل من دعم حركات المقاومة، واحتضانها لتثبيت وترسيخ ذلكم الاختراق، واستخدامه ضدّ الأعداء والخصوم على حدّ سواء⁴⁶.

و. إحياء النظام الإيراني لبرنامجه النووي والذي كان من أهم أسباب العداء والتوتر في العلاقة بينه وبين أمريكا والغرب، ومن قبلهما الاحتلال الإسرائيلي والذي عدّ إيران عدوه الاستراتيجي الأول رسمياً بسبب ذلك، وزعم أن إيران ببرنامجها النووي تشكل خطراً وجودياً عليه، وعمل بكل الوسائل على تحريض الولايات المتحدة للعمل على إيقاف برنامجها النووي؛ ولو بالوسائل العسكرية بشكل أحادي من قبله إن لم تقم به الولايات المتحدة⁴⁷، وتبني الولايات المتحدة والغرب لسياسة الضغوط وفرض العقوبات المتتابة عبر مجلس الأمن، وبشكل أحادي أيضاً. والعمل على عزل إيران عن المنطقة وسياساتها؛ حمل إيران على تبني مزيد من الانفتاح على القوى المقاومة للمشروع الصهيوني عبر مزيد من الدعم المالي والعسكري، لمواجهة ومقاومة ذلك الاستهداف وتلكم السياسات، ولاستخدامها كورقة من أهم أوراق الضغط والمساومة في المفاوضات المتعلقة بمشروعها النووي، ومستقبل دورها في المنطقة، كما حصل لاحقاً⁴⁸.

ز. يرى الباحث أن نظاماً رفع شعار الثورة الإسلامية، لمقارعة الظلم والاستكبار في الأرض وهو النظام الإيراني (حسب أدبياته)، ونظاماً رفع راية القومية العربية والدفاع عن قضاياها وهو النظام السوري؛ ولأنّ والقضية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني للأرض المقدسة ومسرى الرسول ﷺ هي أمّ القضايا العربية والإسلامية؛ فكان لا بدّ للنظامين من أجل إثبات مصداقية شعاراتهما لدى شعبيهما والأمة العربية والإسلامية من تبني القضية والدفاع عنها؛ لأنهما من دون ذلك يفقدان مصداقيتهما، ويكذبان شعاراتهما، ولا يكون ذلك التبني إلا باحتضان القوى المقاومة للمشروع الصهيوني،

⁴⁶ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

⁴⁷ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، "ضرب "إسرائيل" البرنامج النووي الإيراني: الاحتمالات والتداعيات"، تقدير استراتيجي (13)، حزيران/ يونيو 2009.

⁴⁸ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

والمقارعة للاحتلال بكافة السبل والوسائل، وهو قاسم ومصالحة مشتركة جامعة كبرى بينهما، بالرغم مما يظهر من التناقض الواضح فيما بينهما في المشروعية السياسية وفلسفة الحكم.

لذلك يرى الباحث أن الدور الإيراني في تطور العلاقات بين حركة حماس والنظام السوري كان حاضراً ومؤثراً؛ وذلك لأن النظامين جمعتهما مصلحة واحدة في دعم حركة حماس، وتعاوناً سوياً في تزويدها بالأسلحة والخبرات العسكرية وتدريب عناصرها، وتعزز هذا الدور بوصول جميع الأطراف إلى تحالف سمي بـ "محور المقاومة" والذي ضمّ النظامين في إيران وسورية، وحركة حماس، وحزب الله في لبنان.

ثانياً: أسباب اختيار حركة حماس لسورية:

منذ الإعلان الرسمي عن وجود قيادة سياسية معلنة لحركة حماس، وكذلك الإعلان عن متحدث رسمي باسم الحركة، أقام رئيس المكتب السياسي للحركة ومعظم أعضاء المكتب في الأردن، ومن هناك أداروا شؤون الحركة السياسية من علاقات خارجية، ومتابعة للداخل الفلسطيني، وإصدار للبيانات والمواقف السياسية، وبعد حدوث الأزمة مع النظام الأردني سنة 1999؛ والتي أدت إلى إبعاد قيادة الحركة عن الأردن إلى قطر البعيدة جغرافياً عن فلسطين، ومحدودية العمل سياسياً في تلك الفترة الزمنية⁴⁹، وليس فيها وجود مؤثر لفلسطيني الشتات مثل الدول المجاورة لفلسطين؛ مما صعّب على قيادة الحركة القيام بأعمالها السياسية ومتابعتها من هناك، وبعد الترحيب الأولي الذي وصل من النظام في سورية في انتقال قيادة الحركة إلى دمشق، كانت هناك أسباب واقعية دفعت بالقيادة لحسم خيارها والانتقال إلى دمشق، وهذه الأسباب هي:

1. الأزمة مع الأردن:

يرتبط الأردن ارتباطاً تاريخياً وجغرافياً مع فلسطين، وعمق التواصل بين الأردن والضفة الغربية كبير جداً حيث بقيت الضفة تحت الإدارة والسلطة الأردنية من بعد حرب الـ 1948 حتى احتلالها بعد حرب الـ 1967، وحتى بعد هذا الاحتلال بقيت أشكال من الارتباط ما تزال مستمرة؛ مثل إدارة أوقاف القدس ما تزال تتبع وزارة الأوقاف

⁴⁹ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 287.

الأردنية، ويحتضن الأردن النسبة الأكبر من اللاجئين الفلسطينيين في الشتات بوجود ما يقارب من ستة ملايين فلسطيني معظمهم يحملون الجنسية الأردنية، ويشكلون بدورهم النسبة الأكبر من سكانه (نحو 60%) وتبلغ نسبتهم من مجموع فلسطينيي الشتات 42%⁵⁰؛ ولذلك فإن حركة السفر بين الأردن وفلسطين نشطة ومستمرة ويومية، والتواصل الاجتماعي بين سكان الأردن والداخل الفلسطيني لا ينقطع؛ وحسب إحصائية رسمية أردنية فقد بلغ عدد المسافرين من وإلى الأردن عبر الحدود مع فلسطين في يوم واحد (2013/7/12)، نحو 1,700 شخص⁵¹.

فالأردن بسكانه كان بالنسبة لحركات المقاومة في الضفة الغربية بمثابة الداعم الذي يزودها بأسباب البقاء؛ ولذلك كان وجود قيادة حركة حماس في الأردن يسهل عليها متابعة شؤون وأمور الحركة في داخل فلسطين بشكل كبير. وقد منح النظام الأردني الإقامة على أراضيها لرئيس المكتب السياسي لحماس موسى أبو مرزوق سنة 1993، وسمحت الحكومة الأردنية بفتح مكاتب رسمية للحركة في عمان، وأبدى الشريف زيد بن شاكر رئيس الوزراء انفتاحاً للعلاقة بين الحركة وحكومة الأردن، يروي إبراهيم غوشة: "في لقاء بين قيادة الحركة ومدير المخابرات الأردنية مصطفى القيسي، تحدثنا عن آلية عملنا في الأردن، واتفقنا على أن يُسمح لنا بالنشاط السياسي والإعلامي، وألا نتدخل في الشأن الأردني، وأن لا تقوم الحركة بأي عمل عسكري انطلاقاً من الأردن، وتوافقنا على أن نعمل بناء على هذه الأسس"⁵².

استمرت قيادة حماس في إدارة عملها السياسي من الأردن بناء على هذا الاتفاق الشفوي، وشهدت العلاقة بين الطرفين مراحل من الهدوء، وأخرى من التوتر والتصييق الأمني والإعلامي، كانت ذروتها إبعاد رئيس المكتب السياسي موسى أبو مرزوق، وعضو المكتب عماد العلمي سنة 1995، إلا أن الطرفين حافظا على مستوى من العلاقة المستمرة بينهما، ولم تصل في أي مرحلة إلى القطيعة، وبقي الأمر على حاله

⁵⁰ عريب الرنتاوي، "الفلسطينيون في الأردن وأسئلة المواطنة" و"الوطنية"، صحيفة السفير، بيروت، ملحق فلسطين، نيسان/أبريل 2011، انظر: <http://palestine.assafir.com/Article.aspx?ArticleID=1855>

⁵¹ ماجد الأمير، جسر الملك حسين بوابة الضفة الغربية إلى العالم، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، العدد 12648، 2013/7/15.

⁵² إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 204.

حتى سنة 1999، ”ففي أوائل شباط/ فبراير 1999 توفي الملك حسين، ويمكن القول: إنه بوفاته اختلت المعادلة الحساسة التي كانت تحكم العلاقة بين حركة حماس وبين النظام الأردني“⁵³.

بدأت مؤشرات تغيير السياسة تجاه حركة حماس تبدو مباشرة بعد رحيل الملك حسين؛ ”فلم يُسمح لأعضاء المكتب السياسي لحماس بالمشاركة في جنازة الملك، ولكنهم شاركوا بصعوبة في العزاء، لكن المفارقة أن هذه المشاركة أغفلت إعلامياً تماماً، فكان ذلك إيذاناً بنهاية العلاقة الودية إلى حد ما بين الطرفين“⁵⁴. ومع تولي الملك عبد الله الثاني الحكم، سعى إلى إنهاء ما بقي من أشكال الارتباط مع الضفة الغربية، وقطع الجسور مع حماس، وربط مصالحه مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية عالمياً، ومع مصر والسعودية عربياً، وكانت تلك أبرز ملامح السياسة الخارجية الأردنية في عهده⁵⁵.

ومع تبني هذه السياسة في العلاقات مع حركة حماس، انتقلت مسؤولية ملف حماس إلى جهاز المخابرات العامة، وبذلك تحول من ملف سياسي كان يديره الملك حسين، إلى ملف أمني يدار من قبل المخابرات العامة⁵⁶: مما أدى إلى تفاقم العلاقة وتدهورها بشكل سريع، فجهاز المخابرات كان يدار من قبل الفريق سميح البطيخي، والمعروف بأنه ليس من أنصار العلاقة مع حماس، وقد سبق له أن اعتقل عدداً من قياداتها وكوادرها، فلذلك ”أصبحت القناعة التي تقول بضرورة إنهاء وجود حماس في الأردن تحظى بمكانة أكبر“⁵⁷، والأخطر من ذلك قناعة مدير المخابرات العامة ونظرتة لحركة حماس، فهو

⁵³ المصدر نفسه، ص 267.

⁵⁴ رزق البصول، الإنسانية تبكي الحسين (إربد: مطبعة الزرقا، 1999)، ص 164.

⁵⁵ محمد الدغمة، الأردن يحتفل بمرور 10 سنوات على تولي الملك عبد الله مقاليد الحكم، الشرق الأوسط، العدد 11152، 2009/6/10، ص 4.

⁵⁶ محمد الهزايمة، السياسة الخارجية الأردنية في النظرية والتطبيق مع المعاهدة الأردنية الإسرائيلية وملحقاتها (عمّان: دار عمار، 1997)، ص 192.

⁵⁷ سميح المعاينة، الدولة والإخوان 1999-2008.. قراءة تحليلية (عمّان: مركز القدس للدراسات السياسية، 2008)، ص 20.

”ينظر إليها على أنها تنظيم إرهابي“⁵⁸، والتعامل معها على هذا الأساس يعني إخراجها من القانون، واعتقال أفرادها، وإغلاق مكاتبها وملاحقتها، وهذا ما حدث لاحقاً.

استغلت المخابرات العامة سفر عدد من قيادة حماس إلى إيران وبدأت بحملة أمنية واسعة ضد الحركة، ”ففي يوم 1999/8/30 تمّ اعتقال أكثر من 16 أخصاً ممن يعملون في حركة حماس، وعلى رأسهم عضو المكتب السياسي الأخ سامي خاطر.... وأغلقت جميع المكاتب.... وأخذت منها أجهزة وأغراض كثيرة.... وأعلن بأن الحركة أصبحت محظورة قانونياً، وبعد ذلك قيل بأن هناك مذكرات جلب لنا ونحن في طهران“⁵⁹. وبهذه الخطوات المتتالية المتسارعة تمّ وقف كل أعمال حركة حماس السياسية والإعلامية، وانتهى وجود مكاتبها وقيادتها في الأردن، وأعلنت الحكومة الأردنية على لسان رئيس وزرائها: ”أن حماس لم تلتزم بما اتفق عليه في الاتفاق الشفوي عام 1993؛ فأقامت حركة تنظيمية في الأردن، وبدأت تصدر عنهم من عمّان بيانات عن العمل العسكري في فلسطين، وبات الأردن يتحمل وزر ذلك“⁶⁰.

ومع توتر الأجواء في المملكة الأردنية، ولتأكيد التضامن الكامل مع سياسات الأردن الجديدة تجاه حماس، قامت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت Madeleine Albright بزيارة إلى الأردن لدعم الملك في خطواته، ضدّ حركات المقاومة؛ والتي كان هدفها إبعاد قيادة حماس عن الأردن وتقليص دورها في المملكة⁶¹، وهذا ما كان يطلبه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون من الملك حسين، لكن الذي نفذه ابنه الملك عبد الله⁶². وبعد حملة الاعتقالات وإغلاق المكاتب جرى حوار ونقاش داخل جماعة الإخوان المسلمين حول عودة خالد مشعل وإبراهيم غوشة من إيران (الذين كانا في زيارة لها كما سبق) إلى الأردن، وتشاورت الجماعة معهما، وفي نهاية الأمر ”حسم أمر عودتهما مكتب الإرشاد في الجماعة؛ حيث قرر أن المصلحة بالعودة إلى الأردن“⁶³.

⁵⁸ محمد أبو رمان، السياسة الأردنية وتحدي حماس: استكشاف المناطق الرمادية ومقاربة فجوة المصالح المشتركة (عمّان: مؤسسة فريدريش إيبيرت، 2009)، ص 48.

⁵⁹ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 267.

⁶⁰ عبد الرؤوف الروابدة، سياسي يتذكر، صحيفة الغد، عمّان، العدد 2093، 2010/5/24، ص 16.

⁶¹ Paul McGeogh, *Kill Khaled* (Sydney: 2008), p. 266.

⁶² Gary Gambill, "Sponsoring Terrorism: Syria and Hamas," *Middle East Intelligence Bulletin*, vol. 4, no. 10, October 2002.

⁶³ إبراهيم غوشة، مصدر سابق، ص 269.

عاد الرجلان من طهران وتم اعتقالهما في مطار عمان في يوم 1999/9/22، وفي "أثناء التحقيق وجهت إليهم تهم جمع أموال، وإصدار تصريحات محظورة، واقتناء سلاح"⁶⁴، مكث قياديا حركة حماس في السجون الأردنية قرابة 61 يوماً، وفي يوم 1999/11/21 تم نقلهما من السجن إلى المطار وهما مقيدان وعيونهما معصوبة، وأجبرا على الصعود في طائرة قطرية وأبعدا إلى قطر، والتي كانت توسطت وحاولت رأب الصدع بطلب من قيادة الحركة عندما كانت في طهران قبل عودتها للأردن، وانتهت وساطتها إلى هذه النتيجة التي أصر عليها النظام الأردني؛ إقفال الملف الأمني، وإبعاد القادة إلى الخارج، وذلك من دون مفاوضة للقادة المسجونين، أو حتى مجرد إعلام لهم، أو لغيرهم من جماعة الإخوان المسلمين في الأردن بهذه النتيجة والقرار، وأبدت قطر استعدادها لاستقبال قادة حماس واستضافتهم مكرمين على أراضيها⁶⁵.

وهكذا انتهت مرحلة العلاقة مع الأردن، والتي أقامت فيها قيادة حركة حماس في عمان ومارست نشاطاتها منها، ومع هذا الإبعاد كان لا بد لهذه القيادة أن تبحث عن بلد آخر يسمح لها بالإقامة، وممارسة دورها السياسي في قيادة الحركة، فكانت هذه الأزمة من الأسباب الرئيسية التي دفعت بقيادة حماس إلى الانتقال إلى دمشق فيما بعد.

2. الوجود الفلسطيني في سورية:

تعد سورية من الدول الرئيسية التي لجأ إليها الفلسطينيون الذين هجرهم الاحتلال الإسرائيلي سنة 1948، وذلك لقربها الجغرافي من فلسطين، فهي تحدها من الجهة الشمالية، وقد "قُدّر عدد اللاجئين الفلسطينيين إلى سوريا عام 1948 ما بين (57,000، 58,000) لاجيء، يرجع معظمهم إلى سكان الجزء الشمالي من فلسطين، وفي آخر إحصائية للأونروا [وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees (UNRWA) in the Near East] بتاريخ 2013/11/4 بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين⁶⁶

⁶⁴ المصدر نفسه.

⁶⁵ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

⁶⁶ الأونروا UNRWA: هي وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، تم تأسيسها بموجب القرار رقم 302 الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 1948/12/8، بهدف تقديم برامج الإغاثة المباشرة والتشغيل للاجئين الفلسطينيين، وبدأت الوكالة عملياتها في الأردن في أيار/ مايو سنة 1950. انظر: <https://www.unrwa.org/ar/who-we-are>

المسجلين لديها في سوريا 564,691 لاجئاً⁶⁷، إلا أن العدد الإجمالي الحقيقي هو أكثر من ذلك؛ لأن هناك لاجئين فلسطينيين موجودين في سورية لم يسجلوا في وكالة الأونروا مثل الذين لجأوا إليها بعد أحداث الفتنة والحرب الأهلية في الأردن بين الجيش الأردني ومقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية؛ فهؤلاء غير مسجلين في سجلات وكالة الأونروا في سورية⁶⁸.

”يتمتع الفلسطينيون في سوريا منذ منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بكافة الحقوق المدنية للمواطن السوري؛ باستثناء الحقوق السياسية المتمثلة بالترشح والانتخاب... فالفلسطيني يستطيع ممارسة جميع الأعمال الحكومية والخاصة دون أي تمييز، كما يسمح للاجئ الفلسطيني بتملك عقار واحد فقط لأغراض السكن“⁶⁹؛ ولذلك فإن نصف اللاجئين الفلسطينيين لا يعيشون في المخيمات، بل خرجوا منها وسكنوا ضواحي المدن، وفي القرى المختلفة، وفي تجمعات سكنية، كما و”سجلت ألوف حالات الزواج المختلط بين لاجئين ولاجئات ومواطنات ومواطنين سوريين“⁷⁰، وهذه قائمة بأسماء مخيمات اللاجئين في سورية.

- أ. **مخيم اليرموك**: أنشئ في سنة 1953، إلى الجنوب من مدينة دمشق على بعد 7 كم عن مركزها، وهو أكبر المخيمات الفلسطينية، يقطنه قرابة 220 ألف لاجئ.
- ب. **مخيم الحسينية**: أنشئ سنة 1982، في ضواحي دمشق، وهو التجمع الثاني من حيث عدد اللاجئين الموجودين فيه، فحسب إحصائية الأونروا يبلغ عددهم قرابة 33 ألف لاجئ، إلا أن العدد الحقيقي أكبر من ذلك بكثير.
- ج. **مخيم جرمانا**: أنشئ سنة 1967، يقع على مسافة 8 كم جنوب شرقي دمشق، ويبلغ عدد سكانه قرابة 21 ألف لاجئ.
- د. **مخيم السبيبة**: أنشئ سنة 1968 بالقرب من مدينة السبيبة على مسافة 14 كم جنوب دمشق، وعدد سكانه قرابة 27 ألف لاجئ.

⁶⁷ إبراهيم العلي وآخرون، تقرير حالة حول أوضاع فلسطينيي سورية (لندن - إسطنبول: مجموعة العمل من أجل فلسطينيي سورية ومركز العودة الفلسطيني والجمعية التركية للتضامن مع فلسطين، 2014)، ص 11، انظر: <http://www.actionpal.org.uk/ar/pdf/sitreport.pdf>

⁶⁸ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، الدوحة، 2014/12/30.

⁶⁹ إبراهيم العلي وآخرون، مصدر سابق، ص 11.

⁷⁰ المصدر نفسه، ص 12.

- هـ. مخيم السيدة زينب: أنشئ سنة 1967، ويقع في ضواحي دمشق، يبلغ عدد سكانه قرابة 10 آلاف لاجئ.
- و. مخيم خان الشيخ: تمّ إنشاؤه سنة 1948، على بعد 23 كم جنوب دمشق، وعدد سكانه قرابة 13 ألف لاجئ.
- ز. مخيم خان دنون: أنشئ سنة 1948، على بعد 23 كم جنوب دمشق، وعدد سكانه قرابة 13 ألف لاجئ.
- ح. مخيم العائدين: أنشئ سنة 1950، ويقع داخل مدينة حماة، وعدد سكانه قرابة 11 ألف لاجئ.
- ط. مخيم النيرب: أنشئ سنة 1948 على بعد 13 كم شرق مدينة حماة، ويبلغ عدد سكانه قرابة 22 ألف لاجئ.
- ي. مخيم حنّدرات (عين التل): تمّ إنشاؤه سنة 1962، ويقع على مسافة 13 كم شمالي شرق مدينة حلب، ويبلغ عدد سكانه قرابة 8 آلاف لاجئ.
- ك. مخيم الرمل: تمّ إنشاؤه سنة 1955، بالقرب من مدينة اللاذقية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ويبلغ عدد سكانه قرابة 10 آلاف لاجئ.
- ل. مخيم درعا: تمّ إنشاؤه سنة 1950، في مدينة درعا جنوب سورية، ويسكنه ما يقارب 15 ألف لاجئ⁷¹.

وفي نظرة عامة وسريعة نجد حسب إحصائيات المخيمات وعدد سكانها أن الغالبية العظمى من اللاجئين الفلسطينيين يعيشون في دمشق وضواحيها، والبقية منتشرون في نواحي سورية المختلفة.

ولذلك فقد كانت هذه الأعداد الكبيرة نسبياً للاجئين ومخيماتهم واحتضانهم من الشعب السوري والنظام؛ محفزاً وسبباً لاتخاذ قيادة حماس قراراً بالتوجه إلى دمشق؛ حيث توقعت أنها ستجد قاعدة جماهيرية فلسطينية وحاضنة شعبية لها، معظمها من أبناء اللجوء سنة 1948، ويرى الباحث أن حركة حماس استطاعت أن تنفذ برامجها الاجتماعية والتثقيفية والخيرية في هذه المخيمات، فقدمت الخدمات والمساعدات الاجتماعية والطبية لأهلها، مع العلم أن حماس لم تُنظّم وتُدخِل في الحركة أفراداً من هذه المخيمات، إلا أنه التف حولها الآلاف من الأنصار والمحبين من أبناء الشعب الفلسطيني،

⁷¹ المصدر نفسه، ص 15-34.

وأصبحت فعلياً الحركة الأولى في هذه المخيمات نفوذاً وتأثيراً. وسيتناول البحث بالتفصيل لاحقاً هذه النشاطات والخدمات التي قدمتها حماس لأبناء المخيمات.

3. الموقع الجغرافي:

تحيط بفلسطين المحتلة أربع دول عربية (من الجنوب مصر، ومن الشرق الأردن، ومن الشمال سورية ولبنان)، التي تعرف باسم "دول الطوق"، وتميزت الأردن وسورية ولبنان بوجود الكثافة السكانية الأكبر للاجئين الفلسطينيين فيها، لذلك وعلى مدار تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، ومنذ انطلاقة الثورة الفلسطينية سنة 1965، أقامت قيادات الفصائل الفلسطينية في هذه الدول وتنقلت بينها، لأن إقامة هذه القيادات في الدول الحدودية لفلسطين تبقىها في تواصل يومي وتماس مستمر مع الأحداث والتطورات في فلسطين المحتلة ومحيطها.

ويضاف لسورية غير كونها دولة حدودية مع فلسطين المحتلة، أن جزءاً من أراضيها (الجلولان السوري) ما زال يخضع للاحتلال الإسرائيلي منذ سنة 1967؛ مما أبقى سورية في قلب الصراع مع الاحتلال. وسورية أيضاً كانت صاحبة اليد العليا والكلمة الأخيرة في لبنان، لذلك فإن إقامة قادة حماس في سورية يفتح أمامهم أيضاً أبواب لبنان للتنقل والعمل فيها، في أوساط اللاجئين الفلسطينيين.

4. موقف سورية من المقاومة:

بعد أن وقّعت مصر معاهدة "السلام" مع الاحتلال الإسرائيلي في سنة 1978 في كامب ديفيد في الولايات المتحدة، وغابت عن دورها العربي والمحوري في الصراع مع الاحتلال، رأى النظام في سورية أن دوره المركزي في المنطقة هو الوقوف في وجه المشروع الصهيوني والدفاع عن العرب، وكبح جماح الاحتلال من تحقيق حلم "إسرائيل الكبرى"، فلذلك بذل جهداً في العمل على تحقيق توازن استراتيجي مع الاحتلال، وحاول عمل جبهة موحدة مكونة من: سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين، إلا أنه فشل في ذلك بسبب لحاق الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية في ركب مصر، وتوقيعها على اتفاقيات "سلام" منفردة مع الاحتلال الإسرائيلي.⁷²

⁷² كمال ديب، تاريخ سورية المعاصر، ط3 (بيروت: دار النهار، 2013)، ص 488-491.

عارضت سورية كل هذه الاتفاقيات المنفردة مع الاحتلال، ودعمت كل التنظيمات والفصائل الفلسطينية التي وافقتها الرأي، وساندتها في مقاومتها للاحتلال، ورفض النظام في سورية المشاركة في مؤتمر شرم الشيخ في آذار/ مارس 1996، الذي عُقد من أجل إدانة المقاومة ووصفها بـ "الإرهاب"، وموقف النظام السوري هذا لا يتعارض في نظره مع موقفه الذي آمن بـ "السلام" الشامل مع الاحتلال الإسرائيلي؛ من أجل إعادة كل الأراضي العربية التي احتلت سنة 1967، وآمن أن هذا "السلام" لا يتحقق إلا بوجود مقاومة مسلحة قوية⁷³.

أدركت قيادة حركة حماس أن موقف النظام السوري من قوى المقاومة هو الدعم والإسناد، فقد سمح النظام لجزء من كوادرات الحركة وقياداتها في الإقامة في دمشق، واحتضنهم وقدم لهم التسهيلات، وسمح لهم باستخدام الأراضي السورية في تدريب بعض كوادرات الحركة، وسمح النظام أيضاً لآخرين من قيادات الفصائل الفلسطينية المقاومة بالإقامة في أراضيه، وقدم لهم الدعم والمساندة. والدعم السوري الواضح والعلمي لحزب الله اللبناني الذي أدى إلى انسحاب جيش الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان في أيار/ مايو 2000، ليؤكد على فعالية دعم النظام السوري ومساندته لقوى المقاومة⁷⁴.

فقد أسهمت سورية في نشأة حزب الله في لبنان تحت رعايتها ورعاية حليفاتها إيران، وقدم النظام في سورية الدعم والمساندة والتسليح⁷⁵، فحارب حزب الله الاحتلال الإسرائيلي حرب عصابات، وتعلم التكتيكات وأساليب القتال من الخبراء الإيرانيين والسوريين، واستطاع أن يوقع في الجيش الإسرائيلي قتلى وجرحى على مدار سنوات الوجود الإسرائيلي في لبنان. وبسبب تزايد أعداد القتلى والجرحى من الجنود الإسرائيليين، وأيضاً تفهم موقف المجتمع الإسرائيلي الذي لم يعد يحتمل سقوط جنود

⁷³ سامي كليب، الأسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، ط 5 (بيروت: دار الفارابي، 2016)، ص 409.

⁷⁴ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

⁷⁵ غيا בכור، הבבוקשה הממולדת נקמתה איראן וסוריה בחמאס، 2011/10/29،

http://www.gplanet.co.il/prodetailsamewin.asp?pro_id=1480

باللغة العبرية، وترجمته: الفخ: انتقام إيران وسورية من حماس.

جدد؛ قررت الحكومة الإسرائيلية ورئيسها حينها إيهود باراك الانسحاب من لبنان⁷⁶. أثبت هذا الانسحاب فعالية المقاومة في طرد المحتل، وأدرك النظام في سورية أن مساندته ودعمه لحزب الله قد أثمر وحقق أهدافه، وهذا الدعم لم يكن سريراً أو خفياً بل كان علنياً، فقيادة حزب الله كانت تؤكد على مساندة سورية وإيران للحزب ودعمهما له⁷⁷.

كان انسحاب الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان تحت ضربات حزب الله بمساندة سورية إيرانية مثلاً عملياً لقيادة حركة حماس على وقوف النظام في سورية بجانب قوى المقاومة في مواجهة المحتل الإسرائيلي، واستعداده لتوفير غطاء سياسي لها في الوقت الذي تصطف كثير من الدول ضدّ هذه المقاومة وتحاربها، واستعداد النظام لتحمل أعباء هذا الموقف ونتائجها؛ هذا الأمر كان أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت القيادة لحسم أمرها والانتقال للإقامة في دمشق⁷⁸.

بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد واستلام ابنه بشار مقاليد الحكم، أدى الرئيس الجديد قَسَمَ الرئاسة أمام مجلس الشعب في تموز/ يوليو 2000، وأكد فيه على الاستمرار في نهج والده في الشؤون الخارجية، وفي دعم قوى المقاومة في الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي من أجل تحرير الجولان وفلسطين⁷⁹، وكان بشار الأسد في لقاءاته الإعلامية والرسمية يؤكد على حقّ الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، وحتى في زيارته الأولى إلى بريطانيا أكد على ذلك، كما أكد على أن العمليات الاستشهادية التي ينفذها الفلسطينيون ما هي إلا ردّ على أعمال العنف الإسرائيلية، وهي ليست عمليات إرهابية؛ إنما حقّ من حقوق الشعب الذي يقاوم المحتل، وقال: ”يجب أن لا ننسى أن هذه المنظمات تعبّر عن رأي ملايين الفلسطينيين في داخل فلسطين وخارجها، وهؤلاء الملايين مدعومون من ثلاثمائة مليون عربي، ومن مئات ملايين المسلمين؛ فمن المستحيل أن تدعم كل هذه الملايين الإرهاب“⁸⁰.

⁷⁶ أرليخ راوبن، النسيجات الحداثديات ملبنون ومرצועت عזה، المكون لمחקري بيטחون لاومي، 2011، [heb.inss.org.il/uploadimages/Import/\(FILE\)1305800898.pdf](http://heb.inss.org.il/uploadimages/Import/(FILE)1305800898.pdf)
باللغة العبرية، وترجمته: الانسحاب أحادي الجانب من لبنان وغزة.

⁷⁷ سامي كليب، الأسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، ص 413.

⁷⁸ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

⁷⁹ كمال ديب، مصدر سابق، ص 725.

⁸⁰ صحيفة الكفاح العربي، 2002/12/14.

هذا الموقف للنظام السوري في دعم قوى المقاومة أوجد قواسم ومواقف مشتركة جمعتها مع حركة حماس، فتوافقت حماس مع النظام في مواقفه من عدم الاعتراف بشرعية الاحتلال الإسرائيلي، ورفض الهيمنة الأمريكية على المنطقة، والتمسك بالحق العربي والفلسطيني في الأرض المحتلة، وعلى أن المقاومة هي حق للشعب الفلسطيني، وهي خيار استراتيجي لاستعادة حقوقه المشروعة⁸¹.

يتضح مما سبق أسباب انتقال قيادة حماس إلى سورية، إلا أن ذلك لم يكن ليتم لولا موافقة النظام السوري النابعة من مصلحته أولاً كما يعتقد الباحث. فلولا موافقة النظام فلن يكون هناك أي تأثير للأسباب الأخرى التي يراها الباحث أسباباً أقل تأثيراً بمفردها، ويرى الباحث أن السبب الثاني في الأهمية هو عدم وجود البديل؛ فأمام قيادة حماس لم يكن هناك أي عاصمة أخرى من عواصم الدول العربية المحيطة بفلسطين المحتلة ترحب بإقامة قيادة الحركة على أراضيها.

ثالثاً: أسباب استقبال سورية لقيادة حماس واحتضانها للحركة:

كما كان لقيادة حماس أسبابها ومبرراتها للانتقال والاستقرار في سورية؛ كان للنظام أيضاً أسبابه ومبرراته وخلفياته، ويمكن عرضها ملخصة من خلال أربع وجهات نظر هي: النظام نفسه وحلفاؤه، وقادة حماس، والاحتلال الإسرائيلي، والمحللون السياسيون.

1. رأي النظام السوري:

من وجهة نظر النظام يمكن تفصيل أسبابه ومبرراته في استقبال قادة حماس، واحتضانه ودعمه للحركة من خلال النقاط التالية:

أ. هو نظام قومي عروبي يرفع راية وشعارات القومية العربية، ويعدُّ سورية قلب العروبة النابض وحاملة القضايا والهموم العربية⁸²، ودمشق عاصمة عربية مركزية

⁸¹ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

⁸² مقابلة شخصية مع طلال ناجي، 2016/5/6.

مهمة بثقلها السياسي وواجبها القومي⁸³، ويرى النظام أنه في مواجهة عدو استراتيجي يحتل فلسطين، ودخل معه في حرب انتهت باحتلال جزء من أرضه هي الجولان المحتل؛ ولذلك كان حافظ الأسد كما تنقل بثينة شعبان المستشارية السياسية والإعلامية لبشار الأسد يشعر: "أنه قائد عربي متمسك بالعروبة بأوسع أشكالها، وعليه أن يدافع عن حقوق كل العرب، وعلى الخصوص حقوق الفلسطينيين"⁸⁴، ويقول وزير الخارجية ونائب الرئيس السوري الأسبق فاروق الشرع: "إن رفضنا للاحتلال الإسرائيلي كان شديداً، ومقاومتنا له أكثر صلابة وديمومة.. كنا نكثف الجهود من أجل مواجهة الاحتلال"⁸⁵؛ فتحالفه مع قوى المقاومة الفلسطينية يتسق وينسجم مع مبادئه وشعاراته القومية التي ظل يرفعها لعقود، وكانت حماس في مقدم تلك القوى منذ تسعينيات القرن العشرين، من بعد دخول فتح ومنظمة التحرير في مشاريع التسوية السلمية، والعمل على حلّ للقضية عبر التفاوض كخيار وحيد واستراتيجي، حسب ما يعلن قادة السلطة الفلسطينية دائماً، والتخلي عن خيار المقاومة المسلحة.

ب. كما أن الدفاع عن فلسطين ودعم حقوق الشعب الفلسطيني مسألة قومية عروبية للنظام؛ فإن دعم حركات المقاومة الفلسطينية واحتضانها مصلحة وطنية له أيضاً، فسورية لها أرض محتلة، وترى في "إسرائيل" التهديد الرئيسي عليها وعلى نظامها وجيشها الوطني⁸⁶؛ من أجل ذلك اختارت التحالف مع إيران وقوى المقاومة؛ لتتمكن من الصمود والمواجهة أمام عدوها، والرد على اعتداءاته. ولأن النظام في هذه المرحلة غير قادر على الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع العدو لاسترداد أرضه المحتلة؛ نظراً لاعتبارات وحسابات لديه كما يقول، فلا أقل من أدوات للمواجهة في قلب الأراضي المحتلة ممثلة بحماس وبقية حركات المقاومة الفلسطينية، وفي خارجه ممثلة بحزب الله في لبنان⁸⁷.

⁸³ كمال ديب، مصدر سابق، ص 489.

⁸⁴ بثينة شعبان، عشرة أعوام مع حافظ الأسد (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2015)، ص 111.

⁸⁵ فاروق الشرع، الرواية المفقودة (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2015)، ص 573.

⁸⁶ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

⁸⁷ مقابلة شخصية مع طلال ناجي، 2016/5/6.

ج. للنظام السوري الحالي تاريخ طويل من الخلاف والخصومة مع منظمة التحرير الفلسطينية وزعيمها التاريخي ياسر عرفات، وجاء توقيع عرفات والمنظمة على الاتفاقية الإسرائيلية الفلسطينية المرحلية (اتفاق المبادئ حول ترتيبات الحكم الذاتي الانتقالي، الموقع في واشنطن في 13/9/1993، والذي يسمى مجازاً اتفاقية أوسلو)، ليكرس ذلك الخلاف والخصومة، ويؤكد للنظام السوري صحة مواقفه وشكوكه القديمة من عرفات، من وجهة نظره؛ فالأسد الأب كان لديه شكوكه الدائمة تجاهه، ويراه بلا مصداقية، ومصالحه الشخصية أهم عنده من مصالح الفلسطينيين⁸⁸، وقد "اعتبر الأسد اتفاقية أوسلو نكسة صادمة، وأن عرفات بتوقيعه على أوسلو أحدث صدعاً دائماً في المجتمع العربي وقال لعرفات: لن أدمع أوسلو أبداً"⁸⁹، وتقول بثينة شعبان: "عملت سوريا خلال عقود طويلة لتوحيد المواقف العربية تجاه إسرائيل، وفي طرفة عين دمر عرفات هذا الجهد: بتجاوز تام للنقاط المرجعية التي تمّ الاتفاق عليها في مدريد"⁹⁰.

يورد باتريك سيل Patrick Seale المقرب من آل الأسد والخبير بالشؤون السورية ملمحاً آخر لموقف النظام السوري من مسيرة التسوية السلمية بقوله: "خاف الأسد من أن تصبح سوريا معزولة، ويتقلص نفوذها بعد اتفاقيات السلام المنفردة؛ مما سيؤدي إلى تحرك سوريا في الهوامش الجانبية... فكان الرئيس الأسد يملك الإرادة والوسائل للتطلع للوقوف في وجه إسرائيل... وكان يعتقد أن لا معنى للتفاوض من موقع ضعف"⁹¹.

فكان لا بدّ من دعم أي بديل مناهض لعرفات والمنظمة ومسيرة التسوية السلمية التي يراها النظام وقوى المقاومة استسلاماً وتفريطاً في حقوق الشعب الفلسطيني، وعلى خلفية هذا الموقف من عرفات وخلفه محمود عباس رئيس السلطة، والموقف من منظمة التحرير، ومناهضة اتفاقية أوسلو؛ التقى النظام مع حماس ورآها ضالته

⁸⁸ بثينة شعبان، مصدر سابق، ص 116.

⁸⁹ المصدر نفسه، ص 111 و116.

⁹⁰ المصدر نفسه، ص 112. واتفاقية أوسلو سنة 1993 كانت تصرفاً منفرداً ونتيجة لمباحثات سرية بين المنظمة و"إسرائيل" برعاية الولايات المتحدة من وراء الأنظمة العربية، وبمعزل عن مسيرة مفاوضات التسوية السلمية بين الدول العربية و"إسرائيل" التي دشنت بمؤتمر مدريد، ومرجعيات المفاوضات وشروط التسوية السلمية التي تمّ الاتفاق عليها بين الدول العربية ومنظمة التحرير.

⁹¹ باتريك سيل، الأسد والصراع على الشرق الأوسط، ط 2 (لندن: دار الساقي، 1989)، ص 749-750.

لإفشال تلك المسيرة وإسقاطها⁹²، ووقف تداعياتها على القضية الفلسطينية والمحيط العربي وعلى رأسه سورية؛ وذلك بما وجد في حماس من قوة عسكرية ناشئة وواعدة في مقاومة المحتل، وثقل وعمق ومكانة كبيرة لدى جماهير الشعب الفلسطيني، وصلت ذروتها بفوزها الكبير في الانتخابات التشريعية سنة 2006، فحماس أصبحت تشكل ثقلًا سياسيًا فلسطينيًا لا يمكن تجاوزه، وبدلاً عن فتح والمنظمة يمكن الاعتماد عليه⁹³.

د. إن إنشاء أي تحالف عسكري أو سياسي في مواجهة عدو أو حلف مناوئ، لا بد أن يحوي في أطرافه دولاً، أو جهات ذات صلة مباشرة بالصراع والمواجهة مع ذلك المحتل المناوئ؛ وعليه فلم يكن بالإمكان تكوين "حلف المقاومة والممانعة" بين سورية وإيران وبقية قوى المقاومة، لو لم يكن في قلبه قوى وازنة في الأراضي المحتلة مثل حماس والجهاد الإسلامي، وبقية الفصائل المقاومة المنضوية في هذا الحلف، "فهذا التحالف هو طوق النجاة لسوريا؛ إنها أوراق استراتيجية مهمة تستخدمها سوريا أثناء المفاوضات لا قبلها، وهذا المحور هو الأداة الرئيسة لاحتواء العدوان الأمريكي - الإسرائيلي"⁹⁴، فكان عقد هذا الحلف في عهد بشار تلاقياً مع المقاومة في هدف مركزي هو التصدي لـ "إسرائيل" والمشروع الأمريكي، فكان حلفاً استراتيجياً حقيقياً ليس بالشعار ولكن بالعلاقة المباشرة والصادقة⁹⁵.

يرى الباحث أن السبب المركزي الذي دفع النظام لاستقبال قيادة حماس، هو تحقيق مصالح النظام، عبر امتلاك ورقة قوية في الملف الفلسطيني، كما يمتلك ورقة قوية في الملف اللبناني عبر حزب الله، فيصبح النظام هو راعي المقاومة وحاميها ومالك أوراقها.

2. رأي حماس:

يتضح بعد البحث أن الأسباب التي جعلت النظام يستقبل قادة الحركة، ويحتضنهم ويقيم تحالفاً معهم، من وجهة نظرهم، يمكن تقسيمها إلى مستويات هي:

⁹² كمال ديب، مصدر سابق، ص 489.

⁹³ مقابلة شخصية مع طلال ناجي، 2016/5/6.

⁹⁴ باتريك سيل، هل تستطيع سوريا وإسرائيل الوصول إلى سلام، موقع شبكة فولتير، 2007/4/21، انظر: www.voltairenet.org/article147423.html

⁹⁵ سامي كليب، الأسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، ص 410.

أ. على مستوى حماس:

ثمة أسباب موضوعية تخص حماس من وجهة نظر قادتها لاحتضان النظام لها وهي:

- أن حماس أصبحت أقوى فصيل مؤثر يمارس المقاومة على الأرض، من بعد اتفاقية أوسلو. وإذا أراد النظام لعب دور رابع وبشكل أقوى وأكبر في القضية الفلسطينية؛ فعليه احتضان ودعم هذه الحركة، كما أقنع بذلك أحمد جبريل قائد الجبهة الشعبية - القيادة العامة حافظ الأسد قائلاً له: "أنتم في سوريا، والمقاومة في فلسطين، وحزب الله، سيربح الجميع من استقبال حماس واحتضانها في سوريا"⁹⁶.
- سحب البساط من تحت أقدام حركة فتح ومنظمة التحرير، وتقليل استفرادها بالقضية الفلسطينية، وإضعاف أثرها في أوساط الفلسطينيين، وخصوصاً فلسطينيي سورية، لا يكون إلا بفصيل منافس، ومخالف في الموقف والرؤية للقضية الفلسطينية لمنظمة التحرير، وله قوة وحضور حقيقي؛ ولا أجمع لتلك الخصائص من حماس، فتصبح سورية عنواناً ومحجاً لفلسطين، بعد أن كانت في عزلة⁹⁷.
- مرجعية حماس الإسلامية مع مرجعيتها الإخوانية - وهي من المفارقات - ومكانتها عند الإسلاميين، وعداء النظام المتجذر للإسلاميين، والإخوان منهم على وجه الخصوص؛ لم يحل بينه وبين أن يقيم علاقات معها، بل ويحتضنها ويدعمها؛ مما يُحسّن من صورته لديهم، ويخفف من عدائهم، فكانت حماس عاملاً مهماً في تواصل النظام مع الحركات الإسلامية⁹⁸. والسياسة في أهم ركائزها هي: فنّ تقليل الأعداء.

ب. على المستوى المحلي والشعبي والجماهيري:

- ترسيخ مشروعيته واستقراره محلياً: فالنظام في نظر حماس يرسخ باستقبال قادتها واحتضانهم مشروعيته العروبية، وصدق تبنيه للقضايا العربية أمام شعبه وأمام فلسطينيي سورية؛ بوقوفه ودعمه لقوى المقاومة وعلى رأسها حماس، ويجني بذلك استقراراً سياسياً ولو مرحلياً⁹⁹.

⁹⁶ مقابلة مع أحمد جبريل، برنامج في الميادين، قناة الميادين، 2013/9/9.

⁹⁷ مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

⁹⁸ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

⁹⁹ مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

• ظهوره أمام الشعب الفلسطيني والشعوب والجماهير العربية والإسلامية باحتضانه لحماس وقوى المقاومة ودعمه لها؛ بمظهر حامي فلسطين والمدافع عنها¹⁰⁰، وآخر المتمسكين بحقوق الفلسطينيين من الأنظمة العربية التي تتابعت في الانخراط في عملية التسوية السلمية توقيماً ودعماً؛ من دون الحصول على الحد الأدنى من حقوق الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه المحتلة ومقدساته، وعودة نازحيه ولاجئينيه، وإقامة دولته المستقلة كما يردد القادة والزعماء الفلسطينيون والعرب دائماً.

ج. على مستوى القضية الفلسطينية والمواجهة مع الاحتلال الصهيوني:

• رفع النظام السوري راية رفض أوصلو وما نتج عنها، وهو بحاجة لأدوات قوة حقيقية من أبناء القضية يشاركونه ذلك الموقف، ويستطيع من خلالهم التأثير في القضية الفلسطينية حسب تلك الرؤية والموقف؛ فكانت حماس الأنسب.

• بما أن النظام ما تزال لديه أرض محتلة ويرفض الطول السلمية من موقف الضعف كما كان يقول الأسد الأب، وليس في وارد الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع المحتل، واستمرار المقاومة المسلحة ضد المحتل مصلحة استراتيجية له، ولا يمكنه أن يحقق ذلك إلا بدعم حركات المقاومة كحماس وحزب الله، فهو يريد أن يتحصن بتلك الحركات أمام العدو¹⁰¹.

• باحتضان حماس وقوى المقاومة يطمح النظام أن يبقى حزب البعث المظلة السياسية للشرعية والقضية الفلسطينية¹⁰²، وذلك بعد أن طوت الحرب الخليجية الثانية سنة 1991 ثم ما أعقبها من حصار للعراق صفحة الفرع الأقوى للحزب ممثلاً في بعث وعراق صدام حسين، تدريجياً إلى أن أسدلت الولايات المتحدة عليه الستار باحتلالها العراق سنة 2003.

• الرفع من سقفه التفاوضي مع الاحتلال لاسترداد أرضه المحتلة، وتحقيق رؤيته الاستراتيجية في أن التفاوض مع الاحتلال يجب أن يكون من موقع قوة؛ لذلك بقي النظام على موقفه الصلب برفض الشروط التي كان يضعها الإسرائيليون ومن خلفهم الولايات المتحدة بوقف دعم المقاومة ابتداءً، وطرد قادة حماس والجهاد الإسلامي

¹⁰⁰ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

¹⁰¹ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹⁰² مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

وإقفال مكاتبتهم؛ لأنه بالاستجابة لذلك قبل تحقيق أي من مطالبه في استرداد أرضه المحتلة على الأقل؛ فإنه يفقد أهم أوراقه ومصدر قوته على طاوولات المفاوضات¹⁰³.

د. على المستوى العربي والإقليمي والدولي:

• من المعروف أن الدول العربية معسكران تجاه الموقف من عملية التسوية السلمية، والموقف من الحركات والفصائل الفلسطينية — غالب الدول العربية وفي مقدمتهم مصر والسعودية والأردن — داعم لمسيرة التسوية السلمية ولحركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، وسورية هي في رأس المعسكر الآخر؛ فاحتضان حماس ودعم حركات المقاومة يعد كسباً سياسياً مهماً أمام ذلك المعسكر؛ لكون حماس حركة مقاومة قوية وفاعلة لها تأثيرها في المعادلة الفلسطينية¹⁰⁴.

• كان النظام السوري ومن خلفه إيران محتضناً لحزب الله في لبنان منذ نشأته أوائل ثمانينيات القرن العشرين، إلى أن أصبح الفصيل الوحيد المحتكر لمقاومة المحتل الصهيوني في لبنان، كما كان لديه فصائل فلسطينية مقاومة يحتضنها من قديم كالجبهة الشعبية - القيادة العامة وغيرها، ولكنها ليست بتلك القوة والتأثير على الأرض، وليس لها امتداد في أوساط فلسطينيي الشتات وعموم الشعوب العربية والإسلامية؛ فكان احتضان حركة مقاومة إسلامية قوية ومؤثرة، لها حضورها وامتداداتها الجماهيرية والتنظيمية، مكملاً لامتلاك معظم أدوات القوة والتأثير الممكنة في مواجهة المحتل، والإمساك بأهم خيوط اللعبة. كما أن الجمع بين فصيلين مقاومين من خلفية مذهبية مختلفة هما: حماس وحزب الله؛ يعطي النظام مكسباً مهماً، وهو إبعاده عن الصفة الطائفية التي يصفه بها خصومه¹⁰⁵.

• في حوارات النظام مع الغرب كان بحاجة إلى أوراق يمتلكها ويبدو بها أنه يمتلك أهم مفاصل القرار الفلسطيني، مما يزيد من أهميته وقيمه لدى الدول الكبرى¹⁰⁶، ويجعلها مضطرة للتعامل معه وعبره لإمرار أي صيغة أو صفقة سياسية تخص القضية الفلسطينية، وكان النظام السوري هو حلقة الوصل في غالب محاولات

¹⁰³ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

¹⁰⁴ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

¹⁰⁵ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

¹⁰⁶ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

الدول الأوروبية للتواصل مع حماس والجلوس مع قادتها، خصوصاً بعد فوزها بانتخابات 2006 كما سبق ذكره.

3. رؤية إسرائيلية إلى العلاقة:

تتقاطع وجهة نظر المحللين والخبراء الأمنيين الإسرائيليين وتتفق في غالب جوانبها (وهذه من المفارقات) مع بعض وجهات النظر التي سبق إيرادها للنظام وحماس في أسباب ومبررات النظام السوري في احتضانه ودعمه لحماس مثل: الابتعاد عن السمة الطائفية باحتضان ودعم حركة سنية¹⁰⁷، وحاجته إلى حليف قوي ومؤثر في الساحة الفلسطينية؛ لينافس به فتح والمنظمة، وإفشال اتفاقية أوسلو ومسيرة التسوية السلمية المنفردة¹⁰⁸، وعدم بقاء سورية معزولة بعد توقيع منظمة التحرير والأردن ومن قبلهما مصر اتفاقيات "سلام" منفردة مع "إسرائيل"¹⁰⁹، وأن لا تبقى القضية الفلسطينية بيد دول منافسة كمصر والسعودية¹¹⁰، ورغبة الأسد في أن يكون لاعباً مركزياً ومؤثراً في المنطقة¹¹¹.

ويعني ذلك أن المحللين الإسرائيليين يجمعون على التأكيد والتركيز على حاجة النظام مع حليفته إيران إلى حلفاء أقوياء ومؤثرين لمواجهة "إسرائيل"، والدفاع عن مصالحهما، واستخدامهم كوكلاء، لممارسة الضغوط عليها وتهديدها وضربها في عمقها السكاني؛ لتبقى "إسرائيل" خائفة من ردة فعل حماس وحزب الله، في حال قررت مهاجمة إيران أو سورية.

¹⁰⁷ غيا בכور، הבבוקשה הממולכדת נקמתה איראן וסוריה בחמאס، 2011/10/29. باللغة العبرية، وترجمته: الفخ: انتقام إيران وسورية من حماس.

¹⁰⁸ مركز المידע למודיעין ולטרור، סוריה כמשענת אסטרטיגית לחזב אללה ולחמאס، 2006، <http://www.terrorisminfo.org.il/he/article/18718>

باللغة العبرية، وترجمته: سورية كمتكأ استراتيجي لحزب الله وحماس.

¹⁰⁹ זיסר אילן، סוריה ואסטרטגיית האיזורים، 4GMZK4DxIwTs، <https://www.youtube.com/watch?v=DxIwTsGMZK4> باللغة العبرية، وترجمته: سورية واستراتيجية المنطقة.

¹¹⁰ مركز المידע למודיעין ולטרור، מקומה של סוריה בעימות הישראליהפלסטיני، 2006/8/2، <http://www.terrorisminfo.org.il/he/article/18719>

باللغة العبرية، وترجمته: مكانة سورية في الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني.

¹¹¹ ארליך ראובן، הנסיגות החדדדיות מלבנון ומרצועת עזה، המכון למחקרי ביטחון לאומי، 2011. باللغة العبرية، وترجمته: الانسحاب أحادي الجانب من لبنان وغزة.

4. رؤية عربية إلى العلاقة:

لا تتعد تحليلات المحللين السياسيين العرب عما سبق إirاده من أسباب ودوافع للنظام في استقباله واحتضانه لحماس من مثل: الضغط على "إسرائيل"، وتقوية معارضي عرفات ومنظمة التحرير، وأن هذا الاحتضان يمنح النظام قناة نفوذ مهمة ضمن الساحة الفلسطينية¹¹²، وأن سورية باحتضانها ودعمها لحماس وغيرها من قوى المقاومة الفلسطينية؛ تظهر وتبرز اهتمامها بالقضية الفلسطينية من منطلقات قومية ووطنية وتحرز بذلك مكاسب شعبية عربية، وتعزز موقعها السياسي في مواجهة الأطماع الإسرائيلية، وتكون قوى المقاومة دعامة وسند لسورية في حال نشوء حرب مع "إسرائيل"¹¹³. ويرى المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الموجود في الدوحة، أن هذا الاحتضان والدعم يخدم استراتيجية النظام الإقليمية، ويزيد من قوة الضغط لديه عند التفاوض مع واشنطن، خصوصا بعد أن تدهورت علاقة النظام بالغرب من بعد احتلال العراق، وحادثة اغتيال الحريري؛ وما أعقبها من اتهام النظام السوري وحلفائه¹¹⁴.

ويركز الكثير من هؤلاء المحللين وخصوصاً المناوئين للنظام السوري على أنه يتاجر بهذا الاحتضان والدعم؛ لتسويق نفسه كنظام ممانع ومدافع عن القضية الفلسطينية¹¹⁵، وينفرد بعضهم بتعليقات تعكس وجهة نظرهم من مثل ما أشار إليه البروفيسور سلمان محمد سلمان من أن سورية تعتقد بأن لها الحق الكامل في التدخل في "بلاد الشام"¹¹⁶ بحكم المرجعية التاريخية القريبة في وحدة بلاد الشام، وسورية الكبرى التي تضم الدول الأربع حالياً: سورية، وفلسطين، والأردن، ولبنان.

¹¹² أحمد خالدي وحسين آغا، مصدر سابق، ص 160.

¹¹³ رأفت مرة، "حماس وإيران وسوريا: مصالح في مناخات متوترة"، ص 123.

¹¹⁴ اختلاف خطاب "الممانعة" لدى النظام السوري تجاه العدوان على غزة، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014/9/7، انظر:

<http://www.dohainstitute.org/release/fb12790f-4016-4038-9a60-83d11f7f7543>

¹¹⁵ جميل الذيايبي، الحياة، العدد 1756، 2011/5/9.

¹¹⁶ سلمان سلمان، العلاقة الحائرة بين حماس وسوريا، موقع الركن الأخضر، 2011/9/9، انظر:

http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=23837

كما يُبرز الكاتب أحمد المحمود مبرراً آخر يتمثل في أن النظام ينتمي إلى طائفة صغيرة أقلية، ولا يمتلك شرعية دستورية، ولا شرعية ديموقراطية انتخابية؛ فهو يبحث عن المشروعية؛ من خلال دعم حركات المقاومة والدفاع عن القضية الفلسطينية¹¹⁷.

بعد استطلاع واستكشاف مختلف الآراء والتقديرات لطبيعة العلاقة بين سورية وحماس، يمكن القول إن الدافع الرئيسي وراءها هي مصلحة النظام؛ سواء كانت هذه المصلحة استجابة لمبادئ رفعها في القومية والوحدة العربية، أم في استخدام حماس كورقة لتقوية مكانته الإقليمية وأهميته في المنطقة، أم الوقوف في وجه أعدائه وخصومه.

رابعاً: موقف جماعة الإخوان المسلمين من هذه العلاقة:

كانت وما زالت العلاقة بين النظام السوري وجماعة الإخوان المسلمين فرع سورية، علاقة عدائية مستحكمة وشديدة، ويعتريها القتل والسجون والمطاردة لأفراد الجماعة؛ وذلك منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين وأحداث حماة وما قبلها وما تلاها من مواجهات مسلحة بين النظام وفصيل من الجماعة؛ حيث قتل وأعدم النظام الآلاف من أعضاء هذه الجماعة ومناصريها في مدن حماة وتدمر وجسر الشغور وغيرها، وفي سجون ومعتقلاته المنتشرة.

ففي شهر تموز/ يوليو سنة 1980 أصدر مجلس الشعب السوري القانون الذي حمل رقم 49 وجاء في مادته الأولى: "كل منتسب لتنظيم جماعة الإخوان المسلمين يعتبر مجرمًا، ويعاقب بالإعدام"¹¹⁸، فأصبح كل قادة الجماعة وكوادرها مشردين ومطاردين ومطلوبين للإعدام.

وبسبب هذه العلاقة العدائية والدموية اعترضت جماعة الإخوان المسلمين بشدة على قيادة حماس في إقامة علاقة مع النظام في سورية، وفتح مكاتب للحركة، وانتقال قيادتها للإقامة في دمشق، وكان أشد المعارضين بطبيعة الحال إخوان سورية؛ حيث

¹¹⁷ أحمد المحمود، علاقة سوريا وحماس لماذا؟، شبكة فلسطين للحوار، انظر: <https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=7423>

¹¹⁸ عدنان سعد الدين، الإخوان المسلمون في سوريا (الأردن: دار عمان، 2009)، ج 4، ص 188.

أثاروا كثيراً من التساؤلات على قيادة حماس، نابعة من الاستنكار والاستهجان من إقامة علاقة مع نظام هو في نظر الجماعة مجرم وقاتل، مستحضرين التاريخ الدموي البشع للنظام مع الجماعة¹¹⁹.

التقى وفد يترأسه موسى أبو مرزوق مجموعة من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وكان من بينهم عدنان سعد الدين المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين السوريين، وشرح لهم باستفاضة موقف حماس من النظام السوري، وموقف النظام من قوى المقاومة ودعمه الكبير لها، موضحاً الأسباب التي جعلت الحركة تسعى لإقامة علاقات مع النظام، ومنها ما يعرفونه من وجود مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين في سورية، وليس للحركة وجود أو تواصل ذي بال معهم، ومن الضروري وجود الحركة بينهم وتواصلها وعملها في وسطهم، ومنها أن حركة حماس هي حركة تحرر وطني تعمل لصالح القضية الفلسطينية، وبحاجة ماسة إلى جهود الأمة كلها على مختلف أطرها السياسية والحزبية والطائفية، والأنظمة الرسمية بمختلف مشاربها¹²⁰، إلى غيرها من الأسباب والحيثيات التي سبق إيرادها في هذه الدراسة لأسباب انتقال الحركة وقيادتها إلى دمشق. وموضحين أيضاً الحيثيات التي تجعلهم يثقون في وعود النظام ويستبعدون غدره بهم.

وعلى إثر هذا اللقاء وبعد توضيح موقف الحركة، تمّ التوافق على أن حركة حماس مستقلة في سياساتها ولها هامش خاص بها في علاقاتها¹²¹. وأصبح هناك تفهم لدى غالبية قيادات الحركات الإسلامية في مختلف الأقطار أن حركة حماس صاحبة قضية تعني الأمة جمعاء، ولها خصوصيتها في ذلك؛ لكون قضية فلسطين بحاجة إلى جهد الجميع، وإلى طرق كافة الأسباب والسبل، وخصوصاً مع تأمر وخذلان الكثير من القريب والبعيد، وقلة الناصر والمعين، فكان هناك تفهم فكري ونفسي وسياسي لانفتاح حركة حماس كحركة إسلامية خرجت من رحم الإخوان المسلمين؛ على كل الأنظمة بما فيها المعادية للإخوان¹²².

¹¹⁹ مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

¹²⁰ المصدر نفسه.

¹²¹ مقابلة شخصية مع عماد العلمي، 2014/6/11.

¹²² مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

وبعد أن تفهمت عموم القيادات الإخوانية هذه العلاقة، ورأت استقرارها وتطورها، وما جنته حماس من تلك العلاقة؛ بدأت جماعة الإخوان المسلمين السوريين —وتلك من المفارقات— تطلب من قيادة حماس التوسط عند النظام لإجراء مصالحة بينه وبين الجماعة¹²³، وبناءً على هذا الطلب من الجماعة؛ يمكن القول إن الجماعة أقرت بصوابية ما ذهب إليه حماس في إقامة العلاقة مع النظام.

وكانت أولى طلبات التوسط للمصالحة مع النظام هو ما تقدم به وفد جماعة الإخوان المسلمين المقيمين في السعودية والذي التقى بالشيخ أحمد ياسين في السعودية في جولته التي قام بها للدول العربية بعد إطلاق سراحه؛ حيث طلبوا منه أن يتحدث مع حافظ الأسد حول المصالحة في زيارته المقررة لسورية. وبالفعل تحدث الشيخ أحمد ياسين مع الأسد وحاول إقناعه بضرورة المصالحة مع الإخوان، إلا أن الأسد رفض الفكرة وتجاوز الموضوع¹²⁴.

وأما أول مبادرة من قبل قيادة حماس المقيمين في دمشق فكانت من قبل موسى أبو مرزوق؛ حيث بعث برسالة إلى مسؤول جهاز الأمن السوري البارز علي دوبا، وطرح عليه فكرة المصالحة، وأهميتها، وضرورتها، وطرح فكرة عقد لقاء بين الإخوان وممثلين عن أجهزة الأمن خارج سورية، في دولة مثل السودان. وأن تكون هناك مصارحة ومكاشفة، ثم مصالحة، ولكن النظام لم يقبل الأمر، ورفض المصالحة¹²⁵. وقد شهد فاروق الشرع على وجود محاولات المصالحة تلك، وأنه كان هناك أطراف من المتنفذين في الأجهزة الأمنية، وفي قيادات النظام لم يوافقوا على إتمام هذه المصالحة، وإخراجها إلى حيز التنفيذ¹²⁶.

أعادت حركة حماس في عهد الرئيس بشار الأسد محاولات التوسط للمصالحة معتقدة أن الظروف قد تحسنت، وأن هناك ربما تغييراً في موقف النظام من الفكرة، وقد ساعدهم على تلك المحاولات الجديدة شخصيات بارزة كالشيخ يوسف القرضاوي؛

¹²³ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹²⁴ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

¹²⁵ مقابلة شخصية مع مصطفى القانون، 2015/1/14.

¹²⁶ فاروق الشرع، مصدر سابق، ص 368.

إلا أنه تبين للحركة أن الظروف لم تكن ناضجة بما يكفي، وأن الدوافع لدى النظام لم تكن موجودة، أو مكتملة لإجراء تلك المصالحة¹²⁷. وأكد الرئيس بشار الأسد على هذه الجهود بقوله:

في أحد لقاءاتي سابقاً مع خالد مشعل، جاء وطرح علي أن قيادة حماس ومن منطلق "سد الدّين" لسوريا فإنهم في الحركة، يستأذنوننا بأن يبدأوا ببذل جهود مع حركة الإخوان المسلمين السوريين لعمل مصالحة مع الدولة السورية وأنهم "أي حماس" قادرون على ذلك، ولمسوا إيجابية كبيرة من قبل الإخوان السوريين تجاه جهدهم هذا. ... قلت لمشعل: أنت فلسطيني ومقاوم، وأطلب منكم بالأ تداخلوا في الشؤون الداخلية لأي بلد عربي، مشكلتنا مع الإخوان شأن داخلي سوري لا تزجوا بأنفسكم به¹²⁸.

يرى الباحث أن حركة حماس أصابت عندما أقامت العلاقة مع النظام السوري، وتجاوزت حساسية الإخوان في التعامل معه. ولو لم تفعل ذلك لخسرت كل الدعم والتسهيلات التي وجدتها من النظام السوري ومن بعض الأنظمة الأخرى المعادية للجماعة. وبناءً عليه تكون الحركة قد التزمت في مبادئها التي حددتها في علاقاتها الخارجية، مثل الانفتاح على جميع الأنظمة مهما كانت الخلافات معها، والبحث عن الأمور المشتركة مع الآخرين، واستقلالية القرار وعدم قبول الإيملاءات.

خامساً: ما قدمه النظام السوري لحركة حماس:

مع بدايات سنة 2001 وانتقال معظم أعضاء قيادة حركة حماس السياسية إلى سورية للإقامة فيها لإدارة شؤون الحركة من دمشق، اكتمل وجود قيادة الحركة بكافة أجنحتها الأمنية والعسكرية والسياسية هناك، ومع ازدياد جذوة انتفاضة الأقصى في فلسطين، واشتداد المواجهات بين جيش الاحتلال وبين الشعب الفلسطيني وعلى رأسه قوى المقاومة المختلفة؛ برز دور حركة حماس في هذه المواجهات عبر مجموعة واسعة من العمليات الاستشهادية التي نفذها أبناء الحركة وكوادرها، لذلك فقد أصبح الدور الذي

¹²⁷ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

¹²⁸ أحمد جمعة، بشار الأسد يكشف تدخلات حماس في شؤون بلاده، صحيفة اليوم السابع، القاهرة، 2014/12/16.

تقوم به قيادة الحركة في دمشق مهماً جداً في دعم وإسناد هذه الانتفاضة، ووجدت قيادة حماس في سورية القاعدة الآمنة للقيام بكل ما هو مطلوب، وعلى كل المستويات لمساندة الانتفاضة ودعمها، وفتح النظام في سورية كل أبواب الدعم والمؤازرة لحركة حماس¹²⁹، وقد تنوعت أشكال هذا الدعم سياسياً وأمنياً وعسكرياً ومالياً، ويمكن للبحث أن يتناول هذه الأشكال كالتالي:

1. الدعم السياسي:

قدم النظام في سورية الدعم السياسي لحركة حماس وذلك عبر عدة آليات وأشكال منها:

أ. الدعم الإعلامي عبر وسائل الإعلام السورية والمختلفة، التي كانت تساند قوى المقاومة ومنها حركة حماس، وتمجد دورها في الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ومقاومة الاحتلال، وكانت ترفع من شأن المقاومين والشهداء ودورهم البطولي، وكانت أيضاً تتابع كل أحداث المقاومة وفعاليتها، وتتابع كل ردود الأفعال المختلفة، وتستضيف العديد من قيادات قوى المقاومة وتعطيهم منبراً حراً لطرح آرائهم وتوجهاتهم¹³⁰.

أثار هذا الدعم الإعلامي السوري حفيظة مراكز الاستخبارات الإسرائيلية، والتي قدمت تقارير مفصلة عن هذا الدعم، وفي أحد التقارير التي قدمها "مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب على اسم اللواء منير عميت" (מרכז המידע למודיעין ולטרור) ،The Meir Amit Intelligence and Terrorism Information Center (ITIC) وتحت عنوان "سورية متكأ استراتيجي لحزب الله وحماس"، جاء فيه:

إن وسائل الإعلام السورية مستمرة في دعم وتشجيع العمليات الإرهابية ضد إسرائيل، حتى إنهم وصلوا إلى عدم التمييز بين المواطنين والجنود، بل أباحوا قتل كل يهودي، ففي راديو دمشق وبعد العملية الانتحارية في مقهى ماكس في 2003/4/30 قال مذيع الراديو: "إن هذه العملية البطولية للمقاومة في فلسطين نفذها أبطال استشهاديون ضدّ تجمع للصهاينة المحتلين، وقطعان المستوطنين، وهذه العملية تثبت أن المقاوم العربي قادر على مقاومة المحتل"، وصرح وزير الإعلام السوري إبراهيم الحسن لصحيفة الدستور

¹²⁹ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹³⁰ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

في 2004/2/24 بقوله: ”القوانين الدولية تنص على حق الشعوب في مقاومة المحتل؛ لذلك وجب علينا مساندة مقاومة الشعب الفلسطيني لمواجهة الإرهاب الإسرائيلي“¹³¹.

وقد جمع التقرير في طياته مجموعة من الأمثلة لوسائل الإعلام السورية المختلفة والتي تدعم عمليات المقاومة؛ بل وتشجع على رفع وتيرة هذه العمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي.

ب. الدفاع عن حق قوى المقاومة بما فيها حماس بمقاومة المحتل في كل المحافل الرسمية العربية والدولية، حيث وقفت القيادة السورية موقف المدافع عن حركة حماس ومقاومتها في هذه المحافل، ”كانت سورية لسان حال حركة حماس في لقاءات الجامعة العربية تدافع عنها وعن مقاومتها، فوفرت لها غطاء سياسياً حال دون تجريمها وملاحقتها بقرار عربي جماعي في حملة الحرب على الإرهاب“¹³².

هذا الموقف للنظام السوري كان في فترة الرئيسين حافظ وبشار الأسد على حد سواء، إلا أنه في فترة الابن كان أوضح وأكثر جلاءً، وقد ذكر فاروق الشرع عن لقاء القمة الذي جمع الرئيس حافظ الأسد مع الرئيس بيل كلينتون في 1994/1/6، في واشنطن:

أثار (الأمريكيون) معنا أيضاً معنى الإرهاب ورفضهم تمييزه عن المقاومة؛ لأن استهداف المدنيين من وجهة نظرهم في إسرائيل، وفي الأراضي المحتلة هو إرهاب. أشعرناهم بالخطأ في وصف المستوطنين المسلحين بأنهم مدنيون، لم نتفق وأبقينا على موقفنا بأن الإرهاب يجب تمييزه عن المقاومة المشروعة التي مارستها كل الشعوب الراضحة تحت الاحتلال¹³³.

في هذا السياق يوضح فاروق الشرع فيقول:

في هذه الفترة ارتفعت وتيرة العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس رداً على مجزرة الحرم الإبراهيمي عام 1994، ورفضنا بطبيعة الحال استنكارها، أعاظ ذلك [إسحق] رابين [Yitzhak Rabin] كما أعاظ الأمريكيين...

¹³¹ مركز الميديل لمؤيديعين ولترور، سوريا كمشعنت استرטיغت لالحزب الاله ولحماما، 2006. باللغة العبرية، وترجمته: سورية كمتكاً استراتيغي لحزب الله وحماس.

¹³² مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

¹³³ فاروق الشرع، مصدر سابق، ص 302.

وفي آذار 1996 توالى الضغوط علينا للمشاركة في قمة شرم الشيخ، رفض الأسد بعد النقاش أن يخضع للابتزاز، وأن يشارك في قمة دولية لمكافحة الإرهاب من دون تمييزه عن المقاومة المشروعة¹³⁴.

أما الرئيس بشار الأسد فكان واضحاً في دعم قوى المقاومة عبر خطابه في مؤتمرات القمة العربية التي كان يشارك فيها، وبالرجوع إلى عدة خطابات له في هذه المؤتمرات المختلفة، يمكن تقديم بعض الأمثلة للدعم السياسي الذي كان يقدمه النظام السوري لقوى المقاومة في فلسطين:

في مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في عمان/ الأردن يوم 2001/3/27، قال بشار الأسد في خطابه: "نقول للفلسطينيين نحن في خدمتكم، ونقف معكم، ومع عودة حقوقكم، والواجب علينا أن ندعمكم ونساند انتفاضتكم الباسلة، ومقاومتكم الأبية، بل ومن الضروري أن ندعمها مالياً وبكافة الوسائل والطرق المختلفة"¹³⁵.

وفي القمة العربية بשרم الشيخ التي عقدت في مصر في 2002/2/27 قال بشار الأسد في كلمته: "لا ننسى أن نؤكد على تأييدنا للمقاومة في فلسطين بالصيغة والشكل التي يراها المقاومون، وأؤكد على دعمهم ومساندتهم بكافة الطرق والوسائل"¹³⁶.

كان الدعم السياسي من النظام السوري بارزاً لحركة حماس في الحرب التي شنها جيش الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة والخاضع لحكم حكومة إسماعيل هنية وذلك في 2008/12/28؛ فقد لعبت الحكومة السورية دوراً سياسياً مهماً في وقف الحرب بعد أن أجرت مجموعة من الاتصالات والمفاوضات لاستجلاب موقف دولي مثله روسيا والصين اللتان طالبتا بوقف الحرب على غزة¹³⁷، وقادت سورية نشاطاً دبلوماسياً مشتركاً مع دولة قطر لعقد قمة عربية طارئة للعمل على وقف العدوان، إلا أن دول "محور الاعتدال العربي" حينها نجحت في منع اكتمال النصاب القانوني لعقد القمة، مما دفع سورية

¹³⁴ المصدر نفسه، ص 316 و348.

¹³⁵ كلمة الرئيس بشار الأسد في قمة عمان، يوتيوب، 2001/3/7، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=kYagJrK9hCo>

¹³⁶ كلمة الرئيس بشار الأسد في قمة شرم الشيخ، يوتيوب، 2002/2/7، انظر: <https://www.youtube.com/watch?v=IJ4qIZui0B4>

¹³⁷ مقابلة شخصية مع أسامة حمدان، 2015/2/15.

وقطر لعقد قمة سميت "قمة غزة" في الدوحة في 2009/1/16 وجمعت دولاً عربية وغير عربية اتفقت على الوقوف ضدّ العدوان الإسرائيلي ودعم صمود الشعب الفلسطيني¹³⁸.

وقد أكد للباحث كل من التقاهم من قادة حركة حماس على أن مندوب سورية في الجامعة العربية يوسف الأحمد كان يدافع عن حماس في اللقاءات العربية الرسمية في مقر الجامعة العربية، وقد منع تجريم وإدانة حركة حماس عربياً بعد أحداث الانقسام الفلسطيني، وكان يقول لخالد مشعل: "أنا مكلف من الرئيس أن أنسق معكم كل المواقف التي تخصكم"¹³⁹.

ج. منح النظام في سورية حضوراً سياسياً لحركة حماس؛ عبر إطلاع قادتها على ما يطرح حول القضية الفلسطينية في اللقاءات الثنائية والمؤتمرات الإقليمية الرسمية التي تشارك فيها سورية، وعلى كل المتغيرات والمواقف السياسية المختلفة من القضية، فكانت القيادة السورية تتشاور مع قيادة حماس في كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية والصراع مع العدو؛ يقول موسى أبو مرزوق: "كانت القيادة في سورية تطلعنا على كل ما يدور من مواقف تخص قضيتنا، وهذا أعطانا إطلاقة على الواقع السياسي في المنطقة؛ مما ساعدنا في تشكيل رؤية في علاقاتنا، وساعد الحركة في فهم الواقع السياسي ومعرفة المواقف المختلفة"¹⁴⁰.

د. أسهم النظام في فتح أبواب جديدة لحركة حماس في علاقتها مع الآخرين، من الأطراف العالمية المختلفة؛ مما أدى إلى زيادة حضورها السياسي، وتطور علاقتها، والانفتاح على أطراف دولية جديدة. فلقد رتب السوريون لقاءً ثلاثياً جمع الرئيس الروسي ميديفيد والرئيس السوري بشار الأسد، مع خالد مشعل رئيس حركة حماس في شهر أيار/ مايو 2010، ورتبوا لقاءات أخرى مع أطراف أوروبية في قصر الرئيس الأسد، وكان كل من يأتي لزيارتهم، ولهم معه علاقات، كانوا يشجعونهم ويحثونهم على الالتقاء مع قادة حماس¹⁴¹. وقد ذكر الرئيس بشار الأسد أن العديد من المسؤولين

¹³⁸ اختلاف خطاب "الممانعة" لدى النظام السوري تجاه العدوان على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014/9/7.

¹³⁹ مقابلة شخصية مع خالد مشعل، 2015/4/19.

¹⁴⁰ مقابلة شخصية مع موسى أبو مرزوق، 2015/3/28.

¹⁴¹ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

الأوروبيين الذين زاروا سورية حاولوا الالتقاء مع قيادة حماس في دمشق، وعقدوا لقاءات غير علنية؛ وذلك بعد تسهيل السلطات السورية لهذه اللقاءات¹⁴².

وفتح النظام الباب واسعاً أمام كل الاتصالات الإقليمية والدولية مع حماس، فسهل وسمح دخول نواب ووزراء وقياديين من كثير من الدول، وسهل لقيادة الحركة استقبالهم، فكانت دمشق محجاً للكثير من الوفود التي جاءت لمقابلة قادة الحركة؛ لسماعها ومناقشتها، أو لمفاوضتها، وكان النظام يوفر لهذه اللقاءات كل الاحتياجات اللوجيستية من مكان وحراسات ورجال أمن، وأحياناً سيارات رسمية لنقل الوفود، حتى إن هناك بعض الشخصيات والرموز الإسلامية التي كانت غير مرغوب فيها لدى النظام؛ ومع ذلك كان يسمح لها بدخول دمشق من أجل لقاء قادة حماس، من أمثال الشيخ راشد الغنوشي، والشيخ يوسف القرضاوي¹⁴³.

هـ. على الرغم من أن النظام السوري لم يعترف باتفاقية أوسلو التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية مع دولة الاحتلال الإسرائيلي، ولم يتعامل مع مخرجاتها السياسية؛ وذلك بعدم فتحه سفارة للسلطة الفلسطينية، وعدم تعامله مع جواز السفر الفلسطيني الذي صدر عن السلطة، ولم يسمح بدخول أي فلسطيني يحمل جواز سفر السلطة الفلسطينية إلى سورية، وأبقى فقط مكتباً لمنظمة التحرير الفلسطينية بدل سفارة رسمية للسلطة؛ إلا أن النظام وبعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية سنة 2006، وتشكيلها للحكومة الفلسطينية العاشرة برئاسة إسماعيل هنية، قدّم الدعم السياسي والمالي لهذه الحكومة في الوقت الذي قاطعتها كثير من الدول العربية¹⁴⁴.

فقد استقبل الرئيس السوري بشار الأسد رئيس الحكومة الفلسطينية إسماعيل هنية ومجموعة من وزرائه استقبالاً رسمياً، وتمّ التعامل مع الزيارة بشكل رسمي؛ حيث تمّ تطبيق كل قواعد البروتوكول في الزيارة، والتعامل مع الوزراء بشكل رسمي، كما في البوتوكولات الرسمية والأعراف الدبلوماسية¹⁴⁵، وبعد لقاء وزير خارجية الحكومة الفلسطينية محمود الزهار مع وزير خارجية سورية وليد المعلم تمّ الإعلان عن حزمة

¹⁴² الأسد: العديد من المسؤولين الأوروبيين حاولوا الالتقاء بحماس، الشرق الأوسط، 2009/1/8.

¹⁴³ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

¹⁴⁴ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

¹⁴⁵ مقابلة شخصية مع أسامة حمدان، 2015/2/15.

من الإجراءات السورية دعماً للحكومة الفلسطينية، وهذه الإجراءات هي: ”رفع مستوى التمثيل الفلسطيني، والتعامل مع جواز السفر الفلسطيني لتسهيل زيارات الفلسطينيين إلى عائلاتهم المقيمة في سوريا، وفتح باب التبرع للشعب الفلسطيني“¹⁴⁶.

أما الدعم المالي لهذه الحكومة فبعد حرب 2008 تمّ خصم نسبة مئوية من رواتب موظفي الحكومة السورية وتمّ بعثها للحكومة الفلسطينية، وقامت وزارة الأوقاف السورية بتعميم خطبة موحدة على كل مساجد سورية تدعو فيها لدعم المقاومة في فلسطين، ووضع صناديق تبرع للشعب الفلسطيني على أبواب المساجد، وتمّ وضع لوحات إعلانية ضخمة في الأسواق والشوارع العامة تدعو للتبرع لحركة حماس ومقاومتها. وعلى الرغم من الوضع الاقتصادي الصعب للشعب السوري إلا أن الدعم المالي من الشعب السوري كان أحد روافد الحركة المالية الرئيسية، وهذا كله بسماع من الحكومة السورية¹⁴⁷.

و. سهل النظام السوري لحركة حماس بناء علاقات مباشرة مع الرئيس السوري والوزارات السيادية في سورية؛ وذلك عبر لقاءات مستمرة ومفتوحة، وهذه العلاقة أعطت أفقاً لتطوير العلاقة بين الطرفين للوصول إلى درجة التحالف¹⁴⁸.

ز. سمح النظام السوري لحركة حماس بعقد كافة مؤتمراتها الصحفية والإعلامية في دمشق، وإقامة جملة من الفعاليات والملتقيات ذات الطابع الوطني والسياسي؛ لدعم المقاومة ودعم ومساندة الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه المشروعة، ومثال ذلك: نظمت حركة حماس سنة 2008 مؤتمراً وطنياً فلسطينياً عاماً تحت اسم ”مؤتمر العودة الأول“، وهو أكبر لقاء يجمع القيادات الفلسطينية المختلفة من مفكرين ومسؤولي فصائل وطنية من كافة أصقاع العالم، حيث شارك فيه نحو 1,200 شخصية¹⁴⁹.

وفي هذه المؤتمرات واللقاءات كان النظام السوري يسمح لشخصيات ورموز إسلامية لا تتفق مع سياسته بالمشاركة فيها؛ فقد سمحت للمراقب العام لجماعة الإخوان

¹⁴⁶ صحيفة البلد، بيروت، 2006/4/21، خبر مستل محفوظ لدى المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، رقم 707841.

¹⁴⁷ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

¹⁴⁸ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹⁴⁹ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

المسلمين في الأردن، وأعضاء في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين؛ بالحضور والمشاركة على الرغم من عداة النظام لجماعة الإخوان المسلمين¹⁵⁰.

يرى الباحث أن هذا الدعم السياسي بكافة أشكاله، وتقديم النظام في سورية لحركة حماس بيئة آمنة ومستقرة لإقامة قيادتها، واحتضان مكاتبها، وإعطاها الحرية في أعمالها وتحركاتها، وممارسة دورها في إدارة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، أعطى حماس مساحة واسعة في احترام الآخرين، وساعد في الانفتاح عليهم، وعزز من قدرة حماس على تطوير علاقاتها السياسية. ويثبت ذلك اتساع علاقات حماس في تلك الفترة مع كل الدول العربية، والكثير من الأطراف الدولية الفاعلة.

2. الاحتضان الرسمي والشعبي:

أ. الاحتضان الرسمي:

كانت دمشق وضواحيها الملاذ الآمن والقاعدة المستقرة لكل قيادات الحركة في خارج فلسطين منذ سنة 2001 ولغاية خروج قيادة حماس من سورية، فقد احتضن النظام في سورية كافة قيادات الحركة وسمح لهم بفتح مكاتبهم ومراكزهم المختلفة¹⁵¹، وممارسة كافة أشكال أعمالهم السياسية والأمنية والعسكرية والاجتماعية، ضمن بعض الضوابط القليلة والتي لا تكاد تذكر، ولا تؤثر على عمل الحركة ونشاطاتها في سورية، فمنذ استقرار القيادة في دمشق أوصل النظام رسالته الواضحة: "أنتم في بلدكم، اعملوا كل أعمالكم ونشاطاتكم بحرية تامة، مع الأخذ بعين الاعتبار: أن لا تتواصلوا مع الإخوان المسلمين السوريين، ولا تقوموا بتنظيم أفراد تنظيماً رسمياً وتضمونهم إلى حركتكم"¹⁵².

وفي أثناء عقد الباحث عدة لقاءات مباشرة مع قيادات كوادر حركة حماس والتي عايشت هذه المرحلة في سورية بكل تفاصيلها، أكدوا جميعاً ودون استثناء أنهم كانوا يتمتعون بكامل الحرية في نشاطاتهم وأعمالهم المختلفة، ولقد سجل الباحث بعض الجمل القصيرة من أقوالهم للدلالة على حجم هذا الاحتضان، قال أحدهم: "كنا نشعر

¹⁵⁰ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

¹⁵¹ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

¹⁵² مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

أننا في وطننا وبلدنا نفعل ما نريد دون معوقات“. وقال آخر: ”كنا نشعر أننا في دولة داخل دولة، كنا نسمع من بعض الأصدقاء السوريين أن سوريا فيها رئيسان، بشار الأسد وخالد مشعل“.

ولقد كتبت صحيفة السفير اللبنانية عن هذا الاحتضان في إحدى افتتاحياتها سنة 2011:

منذ عام 1998 وحركة حماس تستظل بفيء سوري يقيها الوقوف عارية تحت شمس الدول العربية المعتدلة، التي حسمت أمرها ببيع القضية الفلسطينية في سوق المزاد الإسرائيلي الأمريكي،... منذ ثلاثة عشر عاماً والحركة بكل أجنحتها الأمنية والسياسية والعسكرية تحظى بدلال شخّ نظيره من قبل النظام السوري الذي تعامل معها كضيف عزيز في ربوع الشام، وتعامل مع رئيسها كرئيس دولة.. فقد رعى النظام حماس وغذاها طوال سنوات¹⁵³.

ووصف أحمد جبريل هذا الاحتضان الرسمي السوري لحماس بقوله: ”خلال ثلاثة عشر عاماً تمتعت قيادة حماس بحرية كاملة لم يتمتع بها أحد، إن ما قُدم لحماس من النظام في سوريا لم يقدم لنا في القيادة العامة؛ هم الوحيدون الذين سُمح لهم بإلقاء الخطب في المساجد، وجمع الأموال من الشعب السوري، والاستعانة بالخبراء العسكريين السوريين“¹⁵⁴.

وقرّ الاحتضان الرسمي السوري لحركة حماس مظلة آمنة لالتقاء قياداتها ومؤسساتها الشورية والتنظيمية على صعيد واحد، لمناقشة كل التطورات الجديدة، ولاتخاذ القرارات المناسبة في الأحداث والمجريات على الساحة الفلسطينية، فعلى سبيل المثال في سنة 2011 انعقد مجلس شورى الحركة بحضور قيادات الداخل والخارج؛ حيث ناقشوا الكثير من توجهات الحركة واستراتيجياتها المستقبلية¹⁵⁵، واستطاعت الحركة أن تعقد لقاءات لجانها المختلفة العاملة خارج فلسطين دون استثناء، والتقت اللجان بكافة أعضائها الموجودين في سورية وخارجها؛ وذلك لسهولة الدخول إلى

¹⁵³ إيلي الفرزلي، هل يرمم حزب الله ودماء 15 أيار ما انكسر بين حماس ودمشق، السفير، العدد 11892، 2011/5/21.

¹⁵⁴ مقابلة مع أحمد جبريل، برنامج في الميادين، قناة الميادين، 2013/9/9.

¹⁵⁵ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

سورية، وتسهيلات النظام لترتيب هذه اللقاءات¹⁵⁶. ناهيك عن أن الاحتضان الرسمي السوري وفرّ لقيادة حماس وكوادرها الشعور بالأمن والأمان؛ فلا ملاحقة ولا اعتقال ولا متابعة لهم ولا تنصت عليهم، مما أدى إلى توفير جهود كبيرة على الحركة لتخطي وتجاوز هذه الملاحقات والمتابعات من الدولة المستضيفة، وفتح مجالاً لتوفير مثل كل هذه الجهود والإمكانيات باتجاه إنجاز أمور أكثر أهمية للحركة¹⁵⁷.

ويرى الباحث أن وجود مكان آمن للقاء مباشر وموحد يجمع قيادة حماس، وكافة مسؤولي اللجان وأعضائها، عزّز من قوة وتماسك الحركة، وقلل من القضايا الخلافية التي كانت تحدث نتيجة عدم التقاء المسؤولين مباشرة، وترك أثراً إيجابياً في تعزيز فعالية اللجان المختلفة، وتطبيق خططها ومتابعة أعمالها، وأوجدت أرضاً آمنة تنفذ عليها بعض مشاريعها وأعمالها التي كانت لا تستطيع تنفيذها لعدم وجود الأرض الآمنة، وهذا ما استنتجه الباحث من بعض الحوارات التي أجراها مع قيادة الحركة وبعض الكوادر الفاعلة في العمل.

يتطلب الاحتضان الرسمي لقيادة حركة مقاومة تواجه احتلالاً يمتلك من القدرات والإمكانيات الضخمة، مجموعة كبيرة من الإجراءات والخدمات اللوجيستية، والتي قدمها ووفرها النظام السوري لقيادة وكوادر الحركة. وقد أجرى الباحث لقاءات مباشرة مع المسؤولين المباشرين المعنيين بتوفير هذه الاحتياجات والخدمات، وذلك لمعرفة تفاصيلها الدقيقة، حيث التقى الباحث مع قيادات أمنية كانت مسؤولة عن التنسيق المباشر بين حركة حماس والأجهزة الأمنية السورية، وعن وحدة الحماية والتأمين في حركة حماس، واستطاع الباحث أن يلخص مجموعة من الخدمات والإجراءات اللوجيستية التي قدمها النظام السوري لتوفير الحماية لقيادة حماس وكوادرها، وهي كالتالي:

1. توفير طواقم حراسة أمنية سورية لكل مكاتب حركة حماس، وأماكن تواجد وسكن قادتها.
2. توفير سيارات تحمل لوحات عسكرية سورية لتحركات قادة وكوادر الحركة، وتنتقل هذه السيارات بحرية تامة دون أن تقف على حواجز أمنية.

¹⁵⁶ مقابلة شخصية مع محمد نزال، 2016/1/31.

¹⁵⁷ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

3. توفير بطاقات رجال أمن لكوادر الحركة لتسهيل أعمالهم ومهامهم المختلفة، وتسهيل تحركاتهم وانتقالهم في المناطق المختلفة.
4. السماح لكل كوادر وحدة الحماية والتأمين في الحركة بحمل سلاحهم والتنقل به في أي مكان دون اعتراض.
5. توفير مواكب رسمية سورية لتحركات وتنقلات رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، يرافقه طاقمه الأمني إضافة إلى طاقم أمني سوري خاص يضم سيارات عسكرية وأمنية تسهل حركته وتنقلاته.
6. السماح لكوادر حماس في وحدة الحماية والتأمين بامتلاك أجهزة اتصال لاسلكية خاصة، لاستخدامها في عملهم الأمني وتواصلهم الخاص.
7. توفير طواقم أمنية سورية خاصة لحماية اللقاءات والمهرجانات والمؤتمرات التي كانت تنظمها وتقيمها حركة حماس، هذه الطواقم الأمنية تكون مزودة بكل تجهيزاتها الأمنية: من كلاب بوليسية، وأجهزة الكشف عن المتفجرات، وتقوم هذه الطواقم بإغلاق الشوارع في مكان إقامة الفعاليات، وتفتيش القادمين للمشاركة فيها.
8. تسهيل كل إجراءات السفر ذهاباً وإياباً لقادة الحركة في مطار دمشق الدولي؛ يسافرون دون فحص أمني ودون تفتيش، ويتم توصيلهم من صالة الشرف إلى الطائرة مباشرة دون انتظار، وكذلك استقبالهم من باب الطائرة إلى صالة الشرف مباشرة.
9. استخدام "الخط العسكري الحدودي" مع لبنان في التنقلات والسفر إلى لبنان والمرور منه دون أي معوقات، وإدخال بعض المعدات اللازمة لعمل لجان الحركة المختلفة.
10. السماح لمسؤول التنسيق بفتح علاقات مباشرة مع المحافظين، وأمناء حزب البعث في المدن السورية المختلفة، وهؤلاء هم أصحاب السلطة المباشرة في المدن؛ مما سهل كثيراً على كوادر الحركة تحركاتهم وأعمالهم وإجراءاتهم في مختلف المدن السورية.

ب. الاحتضان الشعبي:

حظيت حركة حماس في أوساط الشعب السوري واللاجئين الفلسطينيين في سورية باحتضان شعبي كان ظاهراً وبارزاً للجميع، والشعب السوري بطبعه محب لفلسطين، وقدّم على تراها المئات من أبنائه شهداء دفاعاً عنها. وكانت قيادة حركة حماس تتواصل

مع أبناء الشعب السوري عبر الزيارات الاجتماعية والمشاركة في أفراحهم وأتراحهم، وكانت تنظم الزيارات الدورية المستمرة لرموز المجتمع السوري من العلماء والمفكرين والتجار في الأعياد والمناسبات المختلفة¹⁵⁸، وكانت توجه الدعوات لهؤلاء الرموز للمشاركة في مختلف فعاليات ونشاطات الحركة. ومن أبرز الفعاليات التي عملت حركة حماس فيها على التواصل الفعال مع أبناء الشعب السوري هي: جمع الأموال والتبرعات لدعم المقاومة والشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال، فعلى سبيل المثال في الحرب على قطاع غزة سنة 2008 تمّ جمع ما يقارب من 16 مليون دولار بالرغم من أن الشعب السوري في عمومته من الشعوب الفقيرة¹⁵⁹.

استطاع الباحث أن يلتقي المسؤولين المباشرين في قيادة حماس عن العمل الاجتماعي والشعبي في سورية وهم: نواف التكروري، ومنير سعيد جرادة¹⁶⁰، وجمال عيسى¹⁶¹، وبعد الاستماع إليهم عن آليات العمل الشعبي التي عملت بها الحركة وعن النشاطات والفعاليات التي كانت تقوم فيها لجان الحركة الفاعلة، وذلك كله في أوساط أبناء الشعب الفلسطيني في المخيمات المختلفة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. في سنة 1998 بدأ العمل الشعبي والاجتماعي في سورية تحت مسؤولية دائرة عمل في حركة حماس اسمها "دائرة الشتات"، بدأت هذه الدائرة نشاطاتها الاجتماعية في إقامة بعض الحفلات واللقاءات في المناسبات المختلفة، وكان من أبرز نشاطاتها الجماهيرية إقامة الأعراس الجماعية. فقد نظمت حركة حماس عدة أعراس جماعية للشباب الفلسطيني في المخيمات، وضمّ العرس الجماعي الأول 60 عريساً، والثاني 120 عريساً، والثالث 400 عريس، والرابع أكثر من 4,000 عريس، وكانت الحركة تقدم المساعدات المادية لكل عروسين بشراء بعض الأثاث والملابس، وإقامة حفل الزواج.

¹⁵⁸ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

¹⁵⁹ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

¹⁶⁰ منير سعيد جرادة: فلسطيني من غزة، من رواد العمل الإسلامي الفلسطيني في الكويت، تخرج مهندساً مدنياً من ليبيا، عمل ممثلاً لحماس في السودان، ثمّ في اليمن. يقيم في تركيا، ناشط في مجالات تفعيل دور الأمة العربية والإسلامية تجاه قضية فلسطين.

¹⁶¹ جمال عيسى: فلسطيني من قرية سلواد، من رواد العمل الإسلامي الفلسطيني في الكويت. تولى قيادة قائمة الحق الإسلامية في جامعة الكويت خلفاً لخالد مشعل. خريج كيمياء، عمل ممثلاً لحماس في السودان، ثمّ في اليمن، تولى رئاسة الدائرة السياسية لحماس في الخارج 2014-2017.

2. بالرغم من الحرية التي منحتها السلطات السورية لحماس في تنظيم وترتيب نشاطاتها الشعبية، إلا أن قيادة العمل الشعبي في الحركة تجنبت التركيز على الوعظ والإرشاد المباشر عبر الدروس الدينية والحلقات التربوية في المساجد؛ واستعاضت بدلاً عنها ببرامج ونشاطات تعبوية اجتماعية وثقافية، وإقامة مؤسسات وجمعيات خيرية لتقديم الخدمات لأبناء الشعب الفلسطيني، وهذه الحرية في العمل أعطت حركة حماس فرصة للتغلغل والدخول في كل مخيمات اللاجئين في مختلف أماكن تواجدها.

3. أنشأت حركة حماس لجاناً لعملها الشعبي في كل الأماكن التي يتواجد فيها الفلسطينيون، وبلغ عدد هذه اللجان قرابة الثلاثين لجنة، وكل لجنة تضم مسؤولاً مباشراً عن المخيم، ومعه مجموعة من الأشخاص مسؤولين عن لجان فرعية: الطلاب، ونشاطات العودة، والنشاط الرياضي، والعمل النقابي، والنشاط الثقافي، والعمل النسائي، والعمل الخيري. وافتتحت حماس في كل مخيم مركزاً عاماً لهذه اللجان أسمته "مضافة"، وافتتحت مركزاً رئيسياً لإدارة العمل الشعبي العام في مخيم اليرموك، وتمّ تزويده بالقاعات اللازمة للاجتماعات واللقاءات الثقافية.

4. أنشأت حركة حماس لجاناً نقابية في كل المجالات: الطبية، والهندسية، والعمالية، والمعلمين، والمحامين وغيرها، وكانت هذه اللجان النقابية تعمل على ربط الشرائح المرتبطة بها أيضاً بالدور الوطني والتعبوي لأعضائها وأبناء المخيمات، وقد كان لهذه اللجان دور في تفعيل الاتحادات النقابية الفلسطينية المختلفة.

5. أنشأت حماس لجاناً طلابية في كل الجامعات السورية، وأقامت الأنشطة الثقافية والاجتماعية لهم، وشاركت هذه اللجان في إدارة الاتحاد العام لطلبة فلسطين عبر تسمية مندوب لحركة حماس فيه، حيث كان يدار هذا الاتحاد فصائلياً، وبتوجيه من حزب البعث السوري، وتبنت الحركة تقديم المساعدات المالية للطلاب المحتاجين ووفرت لهم المنح الدراسية المختلفة.

6. أما في العمل الخيري فقد أنشأت الحركة "هيئة فلسطين الخيرية"، وهي هيئة خيرية تقوم على كل الأعمال الخيرية في المخيمات، وأنشأت لها فروعاً في كل التجمعات الفلسطينية، وقامت هذه الهيئة بكفالة مئات الأيتام والأسر الفقيرة، وكانت تقيم في كل عام عدة مشاريع لتوزيع كسوة الشتاء للفقراء، والمساعدة في توفير وقود التدفئة

في الشتاء، وتوفير الحقيبة المدرسية لطلاب المدارس الفقراء، كما تقوم بتوزيع لحوم الأضاحي في عيد الأضحى، وتنظيم إفطارات جماعية للفقراء في رمضان.

7. بادرت حركة حماس إلى الاهتمام بقطاع الشباب في المخيمات فأطلقت مجموعة من المشاريع والمؤسسات للاهتمام بهم وتفعيلهم، فأنشأت منظمة "شباب فلسطين" سنة 2010، وانضم إليها آلاف من الكوادر الشبابية، وتم افتتاح مركز اجتماعي لها (مركز الإبداع) في مخيم اليرموك، وتم تجهيزه بقاعات للكمبيوتر والأجهزة التعليمية الحديثة المختلفة، وأطلقت الحركة مشروعاً لدعم المشاريع الصغيرة للشباب، وشكلت لذلك لجنة متخصصة تتولى دراسة المشاريع وتسويقها، وبشرت في العمل وتبنت ونفذت العشرات من المشاريع الصغيرة ودعمتها عبر آلية القرض الحسن، ميسر السداد. كما أسست الحركة نادياً رياضياً (نادي جنين) وكان مقره الرئيسي في مخيم اليرموك، وكان له فرق في مختلف أنواع الألعاب الرياضية، وأقامت له ملعباً خاصاً، وفرت فيه الإضاءة والعشب الصناعي، ونظمت عبر هذا النادي مجموعة من الفعاليات والنشاطات الشبابية والرياضية.

8. أسهمت حركة حماس في إطلاق مشروع "التجمع الفلسطيني لحق العودة - واجب" والذي شكل إطاراً وطنياً فلسطينياً للعمل على إحياء قضية حق العودة عبر إقامة برامج وفعاليات مختلفة، وامتد هذا التجمع ليصبح له لجان في كل المخيمات الفلسطينية، وتم تشكيل لجان شبابية فاعلة، وقد افتتح المركز الرئيسي لهذا المشروع في مخيم اليرموك، وقد أقام هذا التجمع الكثير من البرامج والأنشطة في المخيمات، ووثق شهادات الكثير من كبار السن الذين كانوا شهوداً على النكبة، وأقام الأمسيات، والفعاليات، والمهرجانات الفنية، والمعارض في كل أرجاء سورية.

9. وعلى صعيد العمل النسائي، أنشأت حركة حماس مؤسسة "زهر الحنون" كمركز لإدارة العمل النسائي، وأقامت له مقراً واسعاً في مخيم اليرموك، ضم قاعة رياضية خاصة للنساء، وتم إنشاء مشغل للأعمال الفنية والتراثية؛ حيث تم تشغيل 20 امرأة في المركز، والتعاون مع 120 امرأة يعملن في بيوتهن في العمل الفني التراثي، وقد كان لهذه المؤسسة دور فاعل في تطوير العمل النسائي في المجتمع الفلسطيني في المخيمات.

10. أقامت حركة حماس بعض المراكز الطبية والعيادات لتقديم الخدمات للمواطنين الفلسطينيين والسوريين على حدّ سواء، فقد تمّ إنشاء مركز طبي متخصص للأسنان، وتمّ تجهيزه بكل الأجهزة المطلوبة، وباشّر عمله سنة 2010، وكان يقدم خدماته الطبية للجميع بأجور رمزية زهيدة.

11. أقامت حركة حماس لجاناً لمتابعة بعض المظاهر السلبية الخطيرة على المجتمع مثل المخدرات، وكانت تنسق في مثل هذه الأعمال مع جهاز الشرطة السورية وتتعاون معهم في ذلك.

ونتيجة لكل هذه الأعمال والنشاطات الشعبية والاجتماعية تشكلت طبقة واسعة من النشطاء والشباب والعاملين التي التحقت مباشرة بالجسم التنظيمي لحركة حماس، والتزاماً من قيادة الحركة لتعهداتها أمام النظام لم تتم عملية تنظيم وضمّ لهذه الشريحة الواسعة من النشطاء، بل بقي التواصل معهم مباشراً، والتعامل معهم على أنهم أنصار للحركة ومساندين، ويقدر حجم هذه الشريحة بنحو عشرة آلاف ناشط وعامل¹⁶².

3. الدعم العسكري:

بدأت كوادر حركة حماس نشاطاتها العسكرية في سورية تحت مظلة الجبهة الشعبية - القيادة العامة، بعد موافقة النظام في سورية على استضافة كوادر حركة حماس من مبعدي مرج الزهور، وانتقال بعض المطلوبين لجيش الاحتلال الإسرائيلي من كوادر الحركة في قطاع غزة للعيش في سورية، أمثال: محمود المبحوح، وعز الدين الشيخ خليل. فكان التدريب لبعض كوادر الحركة تتم في منشآت الجبهة ومعسكراتها، ثم جاءت مجموعة أخرى من كوادر الحركة العسكرية، بعد خروجها من الأردن بسبب حملة الاعتقالات لكوادر الحركة في 1996، فوجدت في سورية ملاذاً آمناً ومستقراً للبدء في إنشاء وتأسيس بنية عسكرية. فتطورت الأعمال العسكرية لحركة حماس في سورية بالتزامن مع تطور العلاقة السياسية بين الحركة والنظام، لذلك كانت الخدمات والتسهيلات العسكرية التي قدمها النظام للحركة بعد سنة 2001 أكبر وأوسع عما كانت عليه سابقاً¹⁶³، ولا بدّ من التأكيد أن حالة العداء بين سورية والاحتلال الإسرائيلي، قد ساعدت في زيادة الدعم السوري العسكري لحركة حماس¹⁶⁴.

¹⁶² مقابلة شخصية مع منير جرادة، إسطنبول، 2015/4/10.

¹⁶³ مقابلة شخصية مع جمال عيسى، 2014/12/30.

¹⁶⁴ Gary Gambill, *op. cit.*

وقام الباحث بعقد مقابلات شخصية مباشرة مع بعض الكوادر العسكرية للحركة والذين رفضوا ذكر أسمائهم، وسمع منهم تفاصيل التسهيلات الأمنية والعسكرية التي قدمها النظام، ثم أطلع الباحث على ما كتبه ونشره بعض الجنرالات الأميون والعسكريون الإسرائيليون في أوراقهم التي قدموها لمراكزهم الأمنية عن بعض تلك التسهيلات والخدمات العسكرية والأمنية، يمكن تلخيصها كالتالي:

أ. توفير بطاقات شخصية عسكرية وأمنية لكل الكوادر الأمنية والعسكرية في الحركة، وتوفير سيارات تحمل لوحات عسكرية في كل تحركاتهم؛ مما سهل تحركاتهم وانتقالهم من مدينة إلى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى دون أي إعاقات أمنية تذكر، وسهل تحركاتهم في أثناء نقلهم للأسلحة التي كانوا يجرون تدريباتهم عليها أو كانوا يشترونها أو يحملونها.

ب. توفير تصاريح خاصة للسماح لكوادر حماس العسكريين بشراء الأسلحة والذخيرة اللازمة لتدريباتهم من السوق الحرة في منطقة الغوطة، مع العلم أن شراء الأسلحة من هذا السوق لا يسمح إلا لكبار الضباط العسكريين والأمنيين السوريين.

ج. السماح لكوادر حماس العسكرية والأمنية بالمرور إلى لبنان عبر الممر الحدودي "الخط العسكري"، وإدخال أي مواد أو معدات عسكرية وأمنية دون معوقات أو تفتيش.

د. منح النظام أراضي ومعسكرات لحركة حماس عبر الجبهة الشعبية - القيادة العامة؛ من أجل تدريب كوادرها القادمين من فلسطين، وإجراء كافة التجارب الخاصة بالتصنيع العسكري، وتمت الاستفادة من المراكز العلمية التي امتلكتها الجبهة الشعبية؛ عبر دمجها مع القدرات التي وفرتها حركة حماس في تطوير الصواريخ التي كانت تُصنع في قطاع غزة، وتطوير صناعة الطائرات بدون طيار التي صنعتها حماس، وسهل وساعد النظام في سورية في إجراء كل التجارب المطلوبة من أجل إطلاق الصواريخ، وتجارب إطلاق الطائرة بدون طيار¹⁶⁵. وكان بعض الجنرالات الإسرائيليين المتقاعدين قد تناولوا موضوع التدريب والتصنيع في تقاريرهم وأوراقهم المقدمة إلى المراكز البحثية

¹⁶⁵ مقابلة مع أحمد جبريل، برنامج في الميادين، قناة الميادين، 2013/9/9.

الأمنية كما سبقت الإشارة؛ فقد عُرض تقرير في ”مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب على اسم اللواء مثير عميت“، يؤكد فيه المركز على أن سورية توفر كل الاحتياجات اللازمة لتدريب عناصر حماس على أراضيها، وبرهن على ذلك بالمقابلة الذي بثتها القناة العبرية الثانية للأسير أسامة مطر، وهو أحد كوادر حماس من مخيم جباليا في قطاع غزة، يعترف فيها أنه تلقى كل تدريباته العسكري في سورية، وأن سورية توفر كل الاحتياجات اللوجيستية اللازمة للتدريب¹⁶⁶.

هـ. سهل النظام في سورية مرور المئات من كوادر حماس إلى إيران؛ عبر توفير إمكانيات المطار لمرورهم دون فحص أمني، أو حتى ختم الدخول والخروج من وإلى سورية، وذلك حتى تبقى رحلات هؤلاء الكوادر في طي السرية والكتمان، فلا يظهر أي أختام على جوازات سفرهم أنهم دخلوا سورية أو إيران، حيث يتلقون تدريباتهم العسكرية المطلوبة في إيران ثم يعودون بعد ذلك إلى فلسطين. وقد قدم الجنرال يفتاح شابير Yiftah Shapir المسؤول عن شعبة التوازن العسكري في الشرق الأوسط في مركز أبحاث الأمن القومي (INSS) The Institute for National Security Studies ورقة بعنوان ”سلاح حركة حماس“ وقال فيها: ”إن الخبرات العسكرية والأمنية التي امتلكتها حركة حماس من الخبراء الإيرانيين والسوريين؛ أمكنها من تصنيع الصواريخ في قطاع غزة، وتطوير هذه الصواريخ لتصل إلى وسط البلاد رغم الصعوبات التي تواجهها“¹⁶⁷.

و. استطاعت حركة حماس استغلال التسهيلات والمساعدات السورية في شراء السلاح والمعدات العسكرية والأمنية، ثم بعد ذلك تهريبها إلى قطاع غزة، وكذلك ساعد النظام في سورية حماس في توفير السلاح السوري والسلاح الإيراني من صواريخ وقذائف، والكثير من أنواع الأسلحة والمتفجرات، ثم قدم المساعدة في تهريبها إلى

¹⁶⁶ مركز الميديع لموديعين ولتورور، המשטר הסורי מסייע לארגוני הטרור, 2009/5/2,

<http://www.terrorisminfo.org.il/he/article/18833>

باللغة العبرية، وترجمته: النظام السوري يساعد المنظمات الإرهابية.

¹⁶⁷ יפתח שפיר, הנשק שבידי חמאס, עדכן אסטרטגי, כרך 11, גיליון 4, פברואר 2009,

<http://heb.inss.org.il/index.aspx?id=4354&articleid=726>

باللغة العبرية، وترجمته: السلاح الذي بيد حماس.

قطاع غزة¹⁶⁸، وكانت شحنات الأسلحة بكافة أنواعها وأشكالها تتدفق من سورية وإيران إلى قطاع غزة عبر طريقين رئيسيين:

1. طريق السودان إلى سيناء؛ حيث يأتي السلاح من إيران وسورية عبر البحر إلى أحد الموانئ السودانية، وبعدها يتم تحميله في قوافل من المركبات ليعبر الحدود السودانية المصرية، ثم يعبر مصر باتجاه سيناء، ومن سيناء عبر الأنفاق إلى قطاع غزة.
2. عبر البحر؛ حيث يتم تهريب الأسلحة الإيرانية والسورية من المياه الإقليمية المصرية إلى ساحل غزة، أو إلى سيناء ثم إلى قطاع غزة¹⁶⁹، وهذا ما تناوله بحث تحت عنوان "هكذا يهرب السلاح إلى غزة"، قدمه جهاز الأمن العام الإسرائيلي أو ما يسمى جهاز الأمن العام (الشاباك) (Israel Security Agency-ISA (Shabak).

وفي الحرب التي شنها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة في نهاية 2008، استخدمت حركة حماس ولأول مرة صواريخ جراد Grad Rocket والتي يبلغ مداها 40 كم، وقذائف هاون 120 Mortar shells ملم، وقذائف مضادة للمدركات، وهذه المعدات العسكرية كانت تلقتها من سورية وإيران بطريق التهريب المذكور سابقاً¹⁷⁰.

وهذا التهريب للكميات الكبيرة من السلاح دفع دولة الاحتلال لطلب المساعدة من الولايات المتحدة وأوروبا لمنع ومحاربتها، وقامت وزيرة خارجية الاحتلال حينها تسيبي ليفني Tzipi Livni ومعها وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس Condoleezza Rice بالتوقيع على وثيقة تفاهم؛ من أجل منع ومحاربة تهريب السلاح إلى حركة حماس في قطاع غزة¹⁷¹. وعلى إثر ذلك قام الطيران الإسرائيلي بقصف عدة

¹⁶⁸ ارليخ راوبن، النسيجات الحددديوت ملبنون ومرצועت عזה، المكون لمחקري بيטחون لاومي، 2011. باللغة العبرية، وترجمته: الانسحاب أحادي الجانب من لبنان وغزة.

¹⁶⁹ مسمך سل שבك-כך הוברח הנשק לעזה، 2013، 2013/05، <http://ihls.com/he/2013/05>، باللغة العبرية، وترجمته: هكذا تم تهريب السلاح لغزة.

¹⁷⁰ יפתח שפיר، הנשק שבידי חמאס، עדכן אסטרטגי، כרך 11، גיליון 4، פברואר 2009. باللغة العبرية، وترجمته: السلاح الذي بيد حماس.

¹⁷¹ ليفني ورايس توقعان اتفاقاً لمنع تهريب الأسلحة لغزة، موقع سي أن أن بالعربية، 2009/2/15، انظر: http://archive.arabic.cnn.com/2009/gaza.escalation/1/16/israel.usa_gaza/index.html

أهداف، في فترات مختلفة، في السودان، وكان الادعاء هو استهداف قوافل شاحنات تحمل صواريخ وسلاحاً سيتم نقله إلى قطاع غزة¹⁷².

ز. قدم النظام في سورية مساعدة لحركة حماس في أثناء الحرب على قطاع غزة سنة 2008؛ وذلك عبر إبلاغ قيادة الحركة العسكرية بتفاصيل ما كانت ترصده الرادارات السورية؛ من توقيت طلعات الطائرات العسكرية الإسرائيلية استعداداً لتنفيذ الهجمات على غزة¹⁷³.

ح. ساعد النظام السوري في حماية وحفظ أمن حركة حماس الداخلي؛ فكان يسمح لكوادر الحركة الأمنيين بمتابعة وملاحقة بعض العملاء الذين كانوا يحاولون اختراق صفوف الحركة، وكان يسمح بالتحقيق معهم، ثم بعد ذلك تقوم الأجهزة الأمنية السورية باعتقالهم والتحقيق معهم مرة أخرى، وكل ذلك يتم بالتنسيق والترتيب بين الأجهزة الأمنية السورية، ومسؤولي الجهاز الأمني في حماس.

وفي الأحداث البارزة أيضاً كان التعاون الأمني يتجلى بأفضل صورته وحالاته؛ ففي حادثة اغتيال أحد كوادر الحركة العسكريين، عز الدين الشيخ خليل؛ كان التعاون الأمني مفتوحاً ومتواصلاً من أجل تحليل ومعرفة الأسباب والخلفيات حول اغتياله.

ط. بالتنسيق والتعاون مع الأجهزة الأمنية السورية المختلفة، تدخلت قيادة حماس في تسوية ملفات مئات من الشباب الفلسطيني في المخيمات كانوا مطلوبين للأجهزة الأمنية السورية لعلاقتهم مع الإخوان المسلمين، أو مع بعض التنظيمات الفلسطينية المحظورة في سورية، وتمّ إلغاء كل ملفاتهم الأمنية السابقة، وعادوا ليعيشوا حياتهم بشكل طبيعي مع عائلاتهم.

يرى الباحث أن هذا الدعم العسكري كان له أثره الواضح في الحروب التي خاضتها حركة حماس ضدّ العدوان الإسرائيلي، حيث تطورت القدرات العسكرية للحركة بشكل ملحوظ، حتى وصل الأمر إلى تصنيع طائرة بدون طيار، وتصنيع صواريخ يصل

¹⁷² ديونو: התקיפה בסודן בוצעה על ידי מל"טים, Ynet, 2009/3/29,

<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L3693540,00.html>

باللغة العبرية، وترجمته: تقرير: الهجوم في السودان نُفذ بطائرات من دون طيار.

¹⁷³ اختلاف خطاب "الممانعة" لدى النظام السوري تجاه العدوان على غزة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014/9/7.

مداها إلى 160 كم، وكان هذا التطور أحد أسباب صمود حركة حماس في حروبها وعدم انهزامها أمام جيش الاحتلال الإسرائيلي.

سادساً: تهديدات وعقوبات للنظام السوري:

قدم النظام السوري الدعم والمساندة بكافة أشكالها لحركة حماس وقوى المقاومة الأخرى، وتسبب ذلك في مجموعة من العقوبات والتهديدات التي عانى منها النظام على مدار السنين التي ساند فيها قوى المقاومة، سواء كانت هذه العقوبات أمريكية أم من الاحتلال الإسرائيلي وحلفائهما، وعانى الشعب السوري من هذه العقوبات، وتسببت في حالة الفقر والعوز التي كانت منتشرة في سورية¹⁷⁴.

وجاء تطور العلاقة بين النظام السوري وحركة حماس، وانتقال قيادة الحركة للإقامة في دمشق في مرحلة صعبة من مراحل الصراع والمواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي؛ فقد كانت الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) في أوج شدتها وصعوبتها، واستطاعت كل الفصائل الفلسطينية بكافة توجهاتها الوطنية والإسلامية ضرب الأمن الإسرائيلي بضربات متواصلة، فكانت العمليات الاستشهادية تنفذ من كل الفصائل في كل المدن الفلسطينية المحتلة، وكلما نجحت كوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي في تنفيذ عمليات ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي؛ كانت القيادة الأمنية والسياسية الإسرائيلية توجه أصابع الاتهام إلى النظام السوري؛ لاحتضانه قيادة هذه الفصائل وتقديم المساعدة لها، وتوفير قاعدة لها لتوجيه هذه العمليات، وهذا الاتهام الإسرائيلي تسبب في زيادة ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على النظام السوري¹⁷⁵، وقد رأت القيادة الإسرائيلية أنه لا بد من العمل على إضعاف سورية والضغط عليها ومعاقبتها من أجل إجبارها على التخلي عن حماس والفصائل الأخرى¹⁷⁶.

¹⁷⁴ مقابلة شخصية مع رياض حجاب، 2016/7/9.

¹⁷⁵ عموس הראل، الهرمטכ"ל מאיים ייתכן נתקוף שוב، הארץ، 2003/11/16.

<http://www.haaretz.co.il/misc/1.1538863>

باللغة العبرية، وترجمته: قائد الجيش يهدد: ممكن أن نقصف ثانيةً.

¹⁷⁶ Jim Zanotti, "Hammas: Background and Issues for Congress," site of Congressional Research Service (CRS), 2/12/2010, p. 38.

ومع أي عودة إلى الحديث عن المفاوضات السورية الإسرائيلية للتسوية السلمية، كان موضوع وجود قيادة حركة حماس وبقية الفصائل الفلسطينية الأخرى في دمشق، يُطرح للنقاش ويتحدث فيه الإسرائيليون كشرط للبدء في المفاوضات، وكانوا يطلبون من سورية ما يلي: أن تلبّي شروط وطلبات حكومة الاحتلال الإسرائيلي بقطع العلاقات وإنهاء التحالف مع إيران وحماس وحزب الله¹⁷⁷، وعزل كل من يلجأ إلى استخدام "العنف والإرهاب ضد إسرائيل"، وتشويه سمعته، وطرد كل قيادات الحركات الفلسطينية وعلى رأسها حماس، وإغلاق مكاتبها، وإغلاق معسكرات التدريب لعناصرها¹⁷⁸، وعلى سورية منع توجيه العمليات "الإرهابية" وتبنيها وتوفير الدعم المالي واللوجستي لتنفيذها وعائلاتهم، ووقف تزويد حركة حماس بالصواريخ والعتاد العسكري بأنواعه المختلفة¹⁷⁹.

بعد هجمات 2001/9/11 على الولايات المتحدة؛ بادرت الولايات المتحدة —بعد شهر واحد فقط من تلك الهجمات— بتوجيه تهديدات مباشرة لسورية، وصرح ريتشارد أرميتاج Richard Armitage نائب وزير الخارجية الأمريكي، أن الولايات المتحدة: "قد تقوم بعمل عسكري ضدّ دول مثل سورية؛ إذا لم تستجب للمطالب الأمريكية والغربية"¹⁸⁰. ثم جاء بعد أقل من شهرين من الهجمات، التصريح المشهور للرئيس الأمريكي جورج بوش الابن George W. Bush وقتها بتقسيمه الدول والأنظمة إلى قسمين لا ثالث لهما، عندما قال: من ليس معنا في الحرب على الإرهاب، بمفهوم أمريكا والغرب، فهو ضدنا¹⁸¹، ثم قام بعض مسؤولي تلك الإدارة بضم سورية إلى محور الشر المعادي للولايات المتحدة¹⁸².

¹⁷⁷ باتريك سيل، هل تستطيع سوريا وإسرائيل الوصول للسلام.

¹⁷⁸ سوريا 2004: تميכה بטרور، פיתוח נשק בלתי קונבנציונאלי، הפרת זכויות האדם، מרכז המידע למודיעין ולטרור، 2004، <http://www.terrorisminfo.org.il/he/article/20547>، باللغة العبرية، وترجمته: سورية 2004: تدعم الإرهاب وتطور سلاح غير تقليدي.

¹⁷⁹ أלוף بن، מפגש האינטרסים، תנאי הכרחי אבל לא מספיק، המכון למחקרי ביטחון לאומי، כרך 11، גליון 1، 2008، [http://heb.inss.org.il/uploadimages/Import/\(FILE\)1213646255.pdf](http://heb.inss.org.il/uploadimages/Import/(FILE)1213646255.pdf)، باللغة العبرية، وترجمته: التقاء المصالح شرط ضروري لكنه غير كافٍ.

¹⁸⁰ أرميتاج لا يستبعد مهاجمة سوريا إذا لم تستجب للمطالب الأمريكية، صحيفة إيلاف الإلكترونية، 2001/10/12.

¹⁸¹ بوش: من ليس معنا فهو ضدنا، هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، 2001/11/1، انظر: http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/news/newsid_1642000/1642259.stm

¹⁸² جون بولتون نائب وزير الخارجية الأمريكي يضم سوريا إلى محور الشر، بي بي سي، 2002/5/6.

وازدادت ضغوط الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن على النظام، ففي 2002/6/24 أصدر الرئيس بوش تهديداً مباشراً للنظام السوري بقوله: ”على سوريا أن تأخذ جانب الحق في الحرب على الإرهاب من خلال إغلاق معسكرات الإرهابيين وطرده المنظمات الإرهابية“¹⁸³، وهذا الضغط جاء متزامناً مع اشتداد المواجهات بين الشعب الفلسطيني وجيش الاحتلال الإسرائيلي، وارتفاع وتيرة تنفيذ العمليات الاستشهادية من فصائل المقاومة الفلسطينية.

وعلى إثر الغزو الأمريكي للعراق في آذار/ مارس 2003 وسقوط بغداد في يد الجيش الأمريكي، بدأ الضغط الأمريكي على النظام السوري يزداد، فكان لقاء وزير الخارجية الأمريكي كولن باول Colin Powell مع الرئيس الأسد الذي شكّل رسالة واضحة من الإدارة الأمريكية بضرورة تغيير النظام السوري موقفه من دعمه ومساندته لحركة حماس وللفصائل الفلسطينية الأخرى. وبعد الاطلاع على تفاصيل محضر اللقاء بين بشار الأسد وكولن باول والذي جاء في شهر آيار/ مايو 2003¹⁸⁴، أي بعد شهرين فقط من احتلال العراق، يبدو أن الضغط الأمريكي على الأسد كان مباشراً لدفعه على اتخاذ موقف من وجود قيادة حركة حماس والجهاد الإسلامي والفصائل الأخرى في دمشق وإغلاق مكاتبها. ورأى الباحث أيضاً أنّ الحديث عن هذه الفصائل استحوذ على غالبية اللقاء؛ وهذا يدل على أن أمن دولة الاحتلال الإسرائيلي هي في أولويات البيت الأبيض الأمريكي، حيث كانت طلبات كولن باول هي:

إعطاء فرصة لإمكانية عودة عملية السلام مع تشكيل حكومة إسرائيلية جديدة، وتسلم محمود عباس ومساعدته محمد دحلان مقاليد الحكم في السلطة الفلسطينية؛ فعلى سوريا أن تقوم بعمل ضدّ حركتي حماس والجهاد الإسلامي والآخرين لوضع حدّ للعمليات الإرهابية التي تنفذها، ويجب على سوريا أيضاً إغلاق مكاتب هذه الحركات، وإخبار قياداتها أن يجدوا مكاناً آخر ليمارسوا نشاطهم فيه؛ لأنّ هذه المكاتب خلقت مشاكل للجميع وللرئيس الأمريكي على حسب قول باول¹⁸⁵.

¹⁸³ سامي كليب، الأسد بين الرحيل والتدمير المنهج، ص 150.

¹⁸⁴ المصدر نفسه، ص 123-144.

¹⁸⁵ المصدر نفسه، ص 128-138.

ويرى الباحث أن هذا اللقاء فيه من الإشارات الواضحة للتهديد الأمريكي للنظام السوري، وكان له ما يدعّمه على الأرض؛ لكون الجيش الأمريكي قد احتل عاصمة عربية بجوار دمشق، وأسقط النظام الحاكم فيها، إلا أن الموقف السوري لم يخضع أمام هذه الإشارات والتهديدات، فكان ردّ الرئيس الأسد: "لا نستطيع أن نطردهم"، وبقي على موقفه السابق الذي كان صرّح به في لقاء إعلامي مع صحيفة السفير اللبنانية، قال فيه بوضوح تام: "موقف سوريا واضح ومحدد من موضوع المكاتب للفصائل الفلسطينية في دمشق، والتي تخص منها حماس والجهاد الإسلامي، أنها باقية في دمشق، ولن تقفل وتطرد منها القيادات مهما اشتدت الاتهامات والتهديدات"¹⁸⁶.

أما من الناحية العملية فلم يتخذ النظام أي خطوة باتجاه وجود قيادات حماس والفصائل الأخرى، ولم يطلب منهم أي إجراء نتيجة كل هذه الضغوط، إلا أن الفصائل الفلسطينية على رأسها حماس تداعت لعقد اجتماع لمناقشة هذه الطلبات الأمريكية والتهديدات للنظام السوري، وفي هذا الاجتماع قررت هذه الفصائل أن تساعد النظام السوري على تجاوز هذه المرحلة الصعبة، وذلك عبر عدم ممارستها أي نشاط سياسي أو إعلامي من مكاتبها الرسمية المعروفة لكل وكالات الإعلام العالمية والمحلية لفترة محدودة، من أجل الانحناء قليلاً لتمرير عاصفة هذه التهديدات، وتمّ إبلاغ الأجهزة الأمنية للنظام السوري بالقرار؛ فقدرت للفصائل هذه الخطوة¹⁸⁷. وفي أول لقاء إعلامي على قناة الجزيرة لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، بعد لقاء كولن مع بشار الأسد، ساند مشعل النظام السوري وأعلن اصطفاً حركة حماس بجانب سورية في مواجهة الضغوط والتهديدات الأمريكية فقال: "نحن نعرف حجم الضغوط على سوريا... نقدر حجم هذه الضغوط، ونحن جميعاً معها، لن نسمح لأحد بالاستفراد فيها، وسوريا لن تخرج من جلودها، ستظل مساندة للقضية الفلسطينية"¹⁸⁸. وفي لقاء آخر قال مشعل: "إن هذه الضغوط والتهديدات الأمريكية الموجهة لسوريا؛ هي محاولة لتغيير سلوك النظام السوري، بحيث تنسجم مع السياسات الأمريكية في المنطقة سواءً في فلسطين أو لبنان أو العراق..¹⁸⁹".

¹⁸⁶ السفير، 2003/3/27.

¹⁸⁷ مقابلة شخصية مع سامي خاطر، 2015/3/25.

¹⁸⁸ قسم الأرشيف والمعلومات - مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، خالد مشعل: مقالات - مواقف - خطابات 1999-2006 (ملف معلومات)، ص 90.

¹⁸⁹ المصدر نفسه، ص 240.

بعد لقاء باول مع بشار الأسد ورفض النظام السوري اتخاذ خطوات عملية ضدّ حركة حماس وفصائل المقاومة، ورفض تلبية مطالب الولايات المتحدة الأخرى؛ تحرك الكونجرس الأمريكي Congress إلى سنّ قانون جديد لمعاقبة النظام السوري وسمّي هذا القانون "قانون محاسبة سوريا واستعادة السيادة اللبنانية" Syria Accountability and Lebanese Sovereignty Restoration Act of 2003، وصادق عليه الكونجرس، وفي 2003/12/12 وقّع الرئيس جورج بوش الابن عليه ليصبح ساري المفعول وليدخل إلى حيّز التنفيذ في 2004/5/11.

تناول القانون أسباب فرض العقوبات على سورية، وكان أبرز هذه الأسباب هو ما طلبه كولن باول في لقاءه مع بشار الأسد حول حركة حماس وحزب الله والجهاد الاسلامي وبقية الفصائل الفلسطينية؛ حيث أكد نصّ القانون أن هذه الفصائل ما زالت موجودة في سورية، ومكاتبها هناك وقواعد تدريب عناصرها، وأنه يتم تزويدها بالسلح الإيراني عبر سورية، وطلب القانون أن توقف سورية دون قيد أو شرط دعمها لهذه المنظمات وتغلق مكاتبها وتطرد قادتها من دمشق، وشملت قائمة العقوبات التي تضمنها القانون:

- حظر بيع السلع ذات الطبيعة المدنية التي قد تستخدم لأغراض عسكرية لسورية.
- حظر أيّ صادرات أمريكية إلى سورية باستثناء الدواء والغذاء.
- تخفيف البعثة الدبلوماسية الأمريكية في سورية.
- منع سورية من تسيير رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.
- حظر أيّ استثمارات أمريكية في سورية.
- تقييد سفر الدبلوماسيين السوريين إلى أمريكا وتقييد حركتهم داخلها¹⁹⁰.

وفي خطابها الإعلامي أوضحت القيادة الأمريكية أنها فرضت هذه العقوبات على سورية؛ لأنها تدعم "الإرهاب"، ولا تقوم بما يكفي من خطوات لمنع، وأن واشنطن تعتقد أن سورية وسياستها هي من الأسباب الرئيسية للتوتر في الشرق الأوسط؛ لأنها

¹⁹⁰ Syria Accountability and Lebanese Sovereignty Restoration Act of 2003, Public Law 108-175, 12/12/2003, site of Federation of American Scientists (FAS), fas.org/asmp/resources/govern/108th/pl_108_175.pdf

ما زالت تدعم الجماعات المتشددة¹⁹¹. وذكر الرئيس بشار الأسد أن الولايات المتحدة منعت عن سورية أي دعم من الدول الأوروبية، وعملت ضد اتفاقية الشراكة بين سورية والاتحاد الأوروبي، وحتى إنها منعت الشركات الخاصة من القدوم إلى سورية للمساعدة في تطويرها¹⁹².

ومن العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على سورية، تصنيفها بأنها إحدى الدول الراحية لـ"الإرهاب" في العالم. ففي تقاريرها السنوية عن "الإرهاب"، صنفت وزارة الخارجية الأمريكية سورية مع الدول الراحية لـ"الإرهاب" حسب رؤية الخارجية الأمريكية، منها التقرير النهائي الذي أصدرته الخارجية الأمريكية سنة 2008، وتم نشره في أوائل سنة 2009 بعنوان تقارير الدول عن الإرهاب 2008 "Country Reports on Terrorism 2008"، وشرحت فيه الأسباب التي جعلتها تصنف سورية من ضمن الدول الراحية والداعمة لـ"الإرهاب"، حيث جاء في التقرير:

إن سورية تقدم ملاذاً آمناً لخالد مشعل وقيادة حماس وقيادة الجهاد الإسلامي ومجموعة فصائل فلسطينية أخرى، وكل هذه الجماعات تنفذ عمليات ضدّ "إسرائيل"، وهذه القيادة تتبنى هذه العمليات وتعلن مسؤوليتها عنها، وتقوم سورية بتدريب عناصر هذه المجموعات وتسمح بتمويلها هي وحزب الله من إيران، وسمحت سورية لحركة حماس بتنظيم مؤتمرات لها في دمشق، وتصر سورية على موقفها: أن هذه الجماعات والمنظمات ليست إرهابية؛ ولكنها تمارس مقاومة مشروعة¹⁹³.

ويرى الباحث أن هذه العقوبات والتهديدات الأمريكية هي دليل واضح على الانحياز الأمريكي للاحتلال الإسرائيلي، وذلك لأن حركة حماس وبقية قوى المقاومة لم تتعرض للولايات المتحدة بأي أذى، ولم تقم بأي عمل ضدها أو ضدّ منشآتها، بل كان جلّ عملها المقاوم داخل فلسطين المحتلة، وضدّ الاحتلال الإسرائيلي فقط.

¹⁹¹ واشنطن تبدأ عقوبات على سوريا، بي بي سي، 2004/5/11، انظر:

http://news.bbc.co.uk/1/hi/arabic/middle_east_news/newsid_3702000/3702251.stm

¹⁹² صحيفة الديار، بيروت، 2006/3/29، انظر: www.addiyar.com

¹⁹³ Country Reports on Terrorism 2008, site of U.S. Department of State,

<http://www.state.gov/j/ct/rls/crt/2008/index.htm>

أما الاحتلال الإسرائيلي فقد شارك عملياً في العقوبات على سورية؛ وذلك عبر التهديدات المباشرة للنظام السوري، بل واستهداف وضرب بعض المواقع والمناطق السورية، فما انفكت قيادة جيش الاحتلال الإسرائيلي من التصريح بأن النظام السوري يتحمل المسؤولية عن العمليات التي ينفذها أعضاء حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي؛ لأنها تؤوي قيادة الحركتين، وتوفر لهما مظلة للتحرك والدعم، وعقد المؤتمرات الصحفية لتبني هذه العمليات. فقد هدد قائد جيش الاحتلال موشيه يعلون Moshe Ya'alon سورية وقال: "إن سورية ستدفع ثمناً غالياً لدعمها حماس والمنظمات الإرهابية الأخرى، وسنقصف مرات أخرى مواقع هذه المنظمات في سورية، وستتحمل سورية مسؤولية أعمالهم ما دامت تسمح لهم بالإقامة على أرضها والتدريب في معسكراتها"¹⁹⁴. وفي حالات نجاح كوادر حركتي حماس والجهاد الإسلامي في تنفيذ بعض الهجمات النوعية أو القوية، كان جيش الاحتلال يقوم بغارات جوية على بعض المواقع السورية، أو يقوم بطلعات جوية استنزافية فوق الأراضي السورية.

فعلى سبيل المثال في 2003/10/5، هاجم طيران الاحتلال الإسرائيلي موقعاً للجهة الشعبية - القيادة العامة في سورية يسمى "موقع الصاحب" بادعاء أنه معسكر لتدريب "الإرهابيين"، وهذا الهجوم جاء رداً على هجوم نفذه أحد كوادر حركة الجهاد الإسلامي في مدينة حيفا. وبعد أن نجحت حركة حماس في تنفيذ عملية نوعية في منطقة كرم أبو سالم في قطاع غزة، واستطاعت أسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليت Gilad Shalit في تاريخ 2006/6/28؛ انتهكت أربع طائرات عسكرية إسرائيلية المجال الجوي السوري وحلقت فوق قصر بشار الأسد في مدينة اللاذقية، ثم أعلن الناطق باسم جيش الاحتلال أن هذه الطلعة للطائرات هي رسالة شديدة اللهجة لبشار الأسد وتحذير له؛ لأنه يعطي مظلة لـ "رؤساء الإرهاب" وعلى رأسهم خالد مشعل المسؤول عن خطف الجندي في كرم أبو سالم¹⁹⁵. وكرر طيران الاحتلال الإسرائيلي مثل هذه الطلعات التحذيرية عدة مرات في الأجواء السورية. وفي 2007/9/2 قصفت الطائرات الإسرائيلية

¹⁹⁴ عموس הראل، الهرمטכ"ל מייים ייתכן נתקוף שוב, הארץ, 2003/11/16. باللغة العبرية، وترجمته: قائد الجيش يهدد: ممكن أن نقصف ثانية.

¹⁹⁵ חיל האוויר ביצע גיחה אווירית מעל ארמונו של אדו, Ynet, 2006/6/28, <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L3268734,00.html> باللغة العبرية، وترجمته: سلاح الطيران ينفذ طلعات فوق قصر الأسد.

موقعاً أمنياً سورياً، وبعد هذا القصف بشهر أكد الناطق باسم جيش الاحتلال أن الطائرات الإسرائيلية دمرت مفاعلاً نووياً بدائياً اشتريته سورية من كوريا الشمالية، وبذلك منعت سورية من حصولها على التقنية النووية؛ لأنها دولة معادية، وتدعم منظمات "إرهابية"، وتؤوي عندها قادة هذه المنظمات¹⁹⁶، وبعد هذا القصف بسنة، في 2008/8/1، قتل جيش الاحتلال الجنرال السوري محمد سليمان قنصاً في منزله على شاطئ مدينة اللاذقية، بدعوى أنه كان الرجل الأول في شراء المفاعل النووي، وأنه رجل بشار الأسد في تسليح حزب الله وحماس¹⁹⁷.

يستنتج الباحث من واقع العلاقة بين النظام السوري وحركة حماس، أن هذه العلاقة لم تتراجع ولم تتأثر بسبب هذه العقوبات والتهديدات، بل ازدادت قوة ومتانة، ومع مرور الوقت كانت تتطور إلى الأفضل، والدليل على ذلك ما تناوله البحث سابقاً من أشكال الدعم والمساندة التي قدمها النظام للحركة، وأيضاً تطور الخبرات والإمكانات العسكرية التي تمتلكها حماس بسبب الدعم السوري لها.

خاتمة:

وقفت الجذور الإخوانية لحركة حماس عائقاً في طريق تطور العلاقة بينها وبين النظام السوري في بدايتها، ومع مرور الزمن تجاوز الطرفان هذه العقبة، وعملاً على تطوير العلاقة بينهما إلى أن أصبحا ضمن حلف واحد عرف باسم "محور المقاومة"، وكان من أبرز الأمور التي دفعت بالتطور الإيجابي في العلاقات بينهما، زيارة الشيخ أحمد ياسين لسورية ولقاء الرئيس حافظ الأسد والقيادة السورية، والموقف الإيراني الذي دفع في تعزيز العلاقة بينهما، وذلك خدمة لمصالحه ومصالح الطرفين.

يمكن القول إن أبرز الأسباب التي دفعت بقيادة حماس إلى الانتقال للإقامة في سورية كانت: إخراجهم من الأردن بعد اعتقالهم وإغلاق مكاتبهم، والجالية الفلسطينية الكبيرة

¹⁹⁶ עכשיו מותר לומר; צ'הל תקף בעומק סוריה, Ynet, 2007/10/2, <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L3455746,00.html#n>

باللغة العبرية، وترجمته: الآن مسموح أن نقول: الجيش قصف في وسط سورية.

¹⁹⁷ השמדת הכור הסורי; הסיפור הלא סופר, הארץ, 2012/8/3, <http://www.haaretz.co.il/1.1792377>, وترجمته: تدمير المفاعل السوري.

في سورية، وأيضاً الحدود الجغرافية المشتركة مع فلسطين المحتلة، وكان لموقف النظام السوري من دعم ومساندة قوى المقاومة دور في الانتقال إلى سورية، وعلى رأس كل هذه الأسباب كانت موافقة النظام لاستقبالهم، وقبول إيوائهم، ويضاف إليها أن حماس لم تجد أي بديل آخر في محيط فلسطين.

يتضح أن أهم الأسباب التي جعلت النظام يستقبل قادة حماس ويتمسك بهم، كانت تحقيق بعض مصالح النظام، سواء في تحقيق مبادئ القومية والعروبة التي ينادي بها النظام، أم امتلاك ورقة قوية لتقوية حضوره السياسي في المنطقة، وتقوية موقفه التفاوضي مع قيادة الاحتلال السياسية والولايات المتحدة الأمريكية، ومناكفة خصومه في الإقليم.

قدم النظام كافة أشكال الدعم والمساندة لحركة حماس، على الرغم من أنه تعرض للعقوبات من أمريكا وحلفائها، ولم يتراجع عن هذا الدعم، وبقي مستمراً فيه إلى أن افترق الطرفان وحلّت القطيعة بينهما، وكان من أبرز نتائج هذا الدعم السوري لحماس تطوير قدراتها العسكرية الذي أدى إلى صمودها في وجه العدوان الإسرائيلي، وعدم انهزامها أمامه.